مجلة البيان – العدد 23 ، جمادى الأولى 1410هـ / ديسمبر 1989م

الافتتاحية

مؤتمرات

تكثر في هذه الأيام المؤتمرات التي تـبـحـث في الإسلام وعلاقته بقضايا اجتماعية وسياسية كثيرة، ويقف الإنسان حائراً أحياناً في تـكـوين رأي صحيح حول هذه المؤتمرات: دوافعها وأهدافها. من ينفق عليها، ومن يستفيد منها .

ومـن القضايا التي يعاد القول فيها الحديث عن القومية والإسلام، ونسبة كل منهما للآخر.

إن الدخول، في الأهداف والدوافع وتواريخ الشخصيات التي تشارك في هذه المؤتمرات قد يكون من قبيل التنجيم، والرجم بالغيب، لكن هـنـاك دلائــل لا يخـطـئها من ينظر الأمور بهدوء وصبر وعمق.

وأولى هذه الظواهر أن الفترة الحالية تشهد ازدياداً في الوعي الإسلامي عـنـد الـمـسلـمـين، وإلحـاحاً من هذا الوعي على واقعهم الاجتماعي الذي يعيشونه، وعندما نقول: ازدياداً في الوعي نـعـنـي ازديـــاداً نسبياً بالنسبة إلى فترة قريبة طغى فيها ما سمي بالمد القومي، ولا نقصد أن المسلمين قد وصلوا إلى الدرجة المطلوبة من الوعي.

وأثر هذا الوعي يتمثل فـي مـظـاهر كثيرة نجد آثارها في كل مكان، ويراقبها غير المسلمين بمشاعر هي خليط من القلق والخوف والترقب والاشمئزاز وفقدان الاتزان.

والغريب في الأمر أن أصحاب النـظـرة التحامية على الإسلام والمسلمين يدركون عمق المأزق الذي يفصل بينهم وبين قناعة الناس بـهـم، فـخـــلال فترة ليست بالقصيرة أمسكوا بزمام الأمور في أغلب البلاد الإسلامية، ووضعت القوى المستفيدة من ضعف المسلمين بين أيديهم إمكانيات هائلة، استخدمت في خطين متوازين:

الخط الأول: تغييب الإسلام، وتجهيل الناس به عـن طـريـق إضعـاف مـؤسساتـه، وإبعاد علمائه عن نقاط التأثير، ومطاردة دعاته المخلصين.

الخــط الثاني: إشاعة أفكار بديلة لتحل محل الفكر الإسلامي، وإقامة مؤسسات بـديـلـة للمؤسـسـات الإسلامية تملأ الفراغ وتبني أجيالا جديدة بأفكار "جديدة" ولا مانع أن تكون هذه الأفكار مستوردة من الشرق أو الغرب.

نقول: خلال هذه الفترة كان من المنتظر أن لا تقوم للإسلام قائمة في النفوس بعد أن أهمل هذا الإهمال المقصود، وأُقْصِيَ هذا الإقصاء المملوء بالتشفي.

لكن الأمور لا تسير حسب ما يريد لها أهل الباطل، بل المسلم يعتقد أن وراء أيدي البشر يد عليا، هي يد الله الذي تكفل بحفظ دينه:
((وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ * إنَّهُمْ لَهُمُ المَنصُورُونَ * وَإنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ)) [الصافات:171-173].
وأمام هذا الواقع يبرز عند الـقـوميـيـن تساؤل: أين ما فعلناه طيلة هذه السنين ؟ وكيف لم ترتض هذه الجموع ما قدمناه لها ؟ وأين الخطأ ؟ هل في الأهداف التي رفعناها ذاتها ؟ أم فـي الأسـلـوب ؟ أم أن هـنـاك سبباً خارجياً لعله في هذا الإسلام ؟! فلماذا لا نحاول أن نـراجـع الخطة، ونقترب قليلاً من أنـصاره لنرى: كيف يفكرون ؟ وما هي نقاط الضعف ونـقـاط الـقـوة عـنـدهـم؟ إن نظرة هؤلاء عن الإسلام تظل نظرة خارجية لا يمكن أن تدرك إشكالية القضية من جذورها.
وهـي تـشـبـه نـظـرة الـغـربـيـيـن والمستشرقتين إلى الإسلام، فهؤلاء عندهم علم واسع يثير الإعـجـاب، ويفـتن الألباب، ولكنهم عاجزون بسبب تكوينهم العقائدي ونظراتهم المسبقة عن سـبـر الـقـوة الحقيقية لهذا الدين، وما ذلك إلا لأن فطرهم مشوهة، ومن كانت فطرته مـشـوهـة يـسـتـغـرب الأمر البسيط، ويحتقر المهم، وتنقلب عنده الأمور فيضخم جوانب يحسبها شيئاً وهي لاشيء، ويستهين بجوانب مهمة لا يدرك ولا يريد أن يدرك أهميتها.
وكذلك هؤلاء المستغربون يجدون صعوبة في تحليل تمسك الناس بأهداف دينهم، وصدورهم عن منهجه في نظرتهم للماضي والحاضر والمستقبل، مع أن في هؤلاء المستغربين من يتمتع بعلم غزير وشهادات رفيعة قد حصل عليها من أشهر الجامعات، ومن له لسان ذَلِق إذا خطب، وقلم غني إذا كتب، ولكن إذا نظرت إلى تحليلاتهم أصابك العجب العجاب.
((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً؛ فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ؟! أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)) [الجاثية: 23].
وحتى لا نـظـلـم الـنـاس الذين يشاركون في مثل هذه المؤتمرات فلابد أن نشير إلى اختلاف مشاربهم، ولكن مع هذا فإن اختيارهم لم يأت بشكل اعتباطي، بل هناك اعتبارات متعددة تـدفع إلى انتقائهم، ولـكـن الملاحظة التي قد تبدو في شكل مأزق هي أنه يؤتى بشخصيات وتـقـدم بـصـورة على أنـهـا تـمـثل الإسلام، وهذا التمثيل مشكوك فيه، لأن أكبر قدر من المسلمين غير متاح لهم أن يقوِّموا هذه الـشـخـصـيـات ولا أن يفوضوا أحداً ينطق باسمهم.
وكـذلك فـإن في هذه اللقاءات يحصل خلط وتشويه للحقائق عن علم أو عن جهل، ويتبنى الكلام باسم الإسلام قـــوم لو كان هناك نظام "حسبة" لحُجِر عليهم أن يلوا أمر أنفسهم، فضلاً عن يتقدموا ليتكلموا عن الإسلام.

وقد أصــبـح من المعيب أن يطلق بعض من يوصفون بالمفكرين ألسنتهم في الكلام على النظام الإســــلامي نـقداً وتقويماً وقد يكون بعضهم غير مسلم أصلاً ؛ فينبري للرد عليهم - باسم الدفاع عن الإسلام - قوم يكتفون بلغة التبرير أو التشويه أو الاعتذار.
ومما يـلـفـت الـنـظـر أن روح الـوصـايــة ووضـع الإسلام في قفص الاتهام تحسها في أغلب الـمـؤتـمــرات التي تناقش قضايا للإسلام فيها رأي متميز: كقضية القومية، وقضية المرأة، وقضية التشريع.
على أن أخـطـر الآثار المترتبة على هذه اللقاءات هو ما يتوصل إليه المؤتمرون من مواقف لا تخلو من تسويات وتـنـازلات تحـمـل على أنها مواقف إسلامية يستدل بها من قبل الذين يهاجمون الإسلام.
إن تقويمنا لهذه المؤتمرات هو أنها لا تجدي المسلمين شيئاً - إن لم تضرهم - فمن سلبياتها أن محاضرها وبحوثها ومناقشاتها تـتـلـقـفـهـا دوائر المخابرات العالمية المعنية بتتبع أخبار المسلمين فتبني مواقفها على أساس دراسات مشكوك في صحتها، مما ينتج عنه سوء تقدير وتخبط، وهذا مشاهد في ما تبثه أجهزة الإعــلام الـغـربية عن الإسلام والمسلمين في العالم، والذي يستند أكثره إلى العداوة المتأصلة، والآراء المـسـبـقـة، ومثل هذه المعلومات المغلوطة.

مجددون معاصرون

سيد قطب

نبذة عن حياته:

في قرية صغيرة من قرى الصعيد ولد الأستاذ سيد قطب رحمه الله في عام 1906.
وحدثنا الأستاذ الشهيد عن نشأته فـي قـريــة "مـوشــا" في كتابه (طفل من القرية)، وعن دراسته فيها، وكيف كوّن مكتبة لا مثيل لها في هذه القرية، وهو لا يزال طالباً في المرحلة الابتدائية.. وحدثنا أيضاً عن العقلية التي يفكر بها أهــل هــذه القرية، والخرافات التي تعشش في عقولهم، والبؤس الذي يلف هذه الطبقة من الـنـاس ... وكان هذا الذي ذكره في كتابه المهم شأن القرى كلها لا نقول في صعيد مصر وحده، وإنـما في العالم الإسلامي كله.
وفي عام 1921 م غادر الأستاذ قريته "موشا" ليكمل دراسته في الـقـاهرة، وكان من المفترض أن يـغــادرهــا قـبـل هذا الوقت لكن حرب 1919 م كانت سبب تأخره ووقف الـتـدريـس وانصراف الناس لما هو أهم من الدراسة.

وفي القاهرة التحق الطالب النجيب بمدرسة عبد العزيز الأولية، وبعد أن أتم دراسته فيها انتقل إلى دار العلوم وكانت في مستوى المعاهد المتوسطة وأتم دراسته فيها عام 1933 م.
وبعد تخرجه من دار العلوم جرى تعيينه مدرساً في دمياط ثم في بني سويف، ثم انتقل إلى حلوان - القاهـرة - مدرساً في مدرستها الابتدائية، وانتقل أهله إلى القاهرة بعد أن اشترى منزلاً في حلوان، وكـان ذلك بعد وفـاة والـده، ثم توفيت والدته بعد انتقالهم إلى القاهرة بقليل.
وبرز اسم سيد كأديب موهوب في مصر،وأصبح اسمه معروفاً في المجلات الأدبية المشهورة: كالرسالة، والثقافة، والمقتطف.. وأصدر في الأربعينيات كتباً مهمة منها:
- التصوير الفني في القران.
- طفل من القرية.
- كتب وشخصيات.
- النقد الأدبي أصوله، مناهجه.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام.
وفـي مـجـال الـتـعـلـيم تدرج في وظائف الوزارة.. ففي عام 1944 أصبح مفتشاً في التعليم الابتدائي.. ثم في الإدارة العامة للثقافة التي كان يرأسها أحمد أمـين.
وفي عام 1948 سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية في بعثة تدريـبـيـة، تم اختياره بالذات لها، ولم يكن في رحلته ملتزماً بدراسة معينة أو بزمن معين يقضيه هناك، وقد أكسبته هذه البعثة خبرة واسعة بطبائع الأميركان وأساليبهم، وله كتابات مهمة بـعــنوان (أميركا التي رأيت) نشرت في مجلة الرسالة، و (إسلام أميركاني) في كتابه (دراسات إســـلامية)، وقد جمعها أحد المهتمين بكتابات سيد في كتاب سماه (أميركا من الداخل بمنظار سـيد قطب).
وعاد من الولايات المتحدة عام 1950 إلى مصر ليخوض معارك سياسية ضد طـغيان فاروق، وفساد الأحزاب، وهيمنة المستعمر الإنكليزي.. واستقطبت هذه الكتابات فيمن استـقـطـبت ضـــبـاط انـقـــلاب "23 يوليو"، فأعجبوا بها، وتعرفوا على كاتبها، وقامت بينهم وبينه عـلاقــات، وتم اختياره بعد نجاح الانقلاب مستشاراً لمجلس قيادة الثورة، ثم أميناً عاماً مـساعداً لهيئة التحرير، وكان مرشحاً ليكون وزيراً للمعارف أو للإعلام لكنه رفض الوزارة والـجـــاه عندما لمس سوء نوايا قادة الانقلاب، وأدرك بأنهم ليسوا جادين في تحكيم شرع الله، وارتاب رحمه الله في اتصالاتهم المشبوهة.
ولم يـجلـس الأستاذ سيد في منزلة عندما رفض الوزارة والمغريات، وما كان لداعية مجاهد أن يفعل ذلك، وإنما انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في أحلك ظروفها وأشدها قساوة... انضم إليها وهو يعلم بأنهم على أبواب محنه.

واختار الإخوان الأستاذ سيد قطب ليكون رئيس تحرير لصحيفتهم "الإخوان المسلمون"، فلم يتردد، ولم يعتذر لاسيما وهو يعرف خبث وغدر قائد الانقلاب... وخاض أستاذنا معركة ضد الانقلابيين كتلك المعركة التي خاضها ضد فاروق وزبانيته، وكشف صلات هؤلاء الانقلابيين الضباط بالولايات المتحدة الأميركية، وأصبحت صحيفة الإخوان المسلمين من أشد الصحف التي كان يخشاها عبد الناصر وزملاؤه.
ودخل سيد السجن عام 1954 م مع عدد من قادة الإخوان المسلمين،ثم أفرج عنه وعنهم بعد قليل، ثم عاد إلى السجن في العام نفسه 1954 بعد حادث المنشية حيث كان نصيبه مما سمي "محكمة الشعب" خمسة عشر عاماً من الأشغال الشاقة، وأفرج عنه في "مايو" من عام 1964 بعد توسط الرئيس العراقي عبد السلام عارف، ثم أعيد اعتقاله في "أغسطس" عام 1965، وقدم لما أسموه "محاكمة"، وتم إعدامه في 26 "أغسطس" من عام 1966 م رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.
ومن أهم مؤلفاته على الإطلاق تلك المؤلفات التي أصدرها وهو في السجن:
- في ظلال القران.
- هذا الدين.
- المستقبل لهذا الدين.
- خصائص التصور الإسلامي.
-معالم في الطريق.
- الإسلام ومشكلات الحضارة.
- مقومات التصور الإسلامي، وقد صدر هذا الكتاب بعد إعدامه بوقت متأخر.

أهم الجوانب التجديدية في دعوة سيد:

أولاً: كيف نقدم الأسلوب إلى الناس:

يحلو لبعض الناس القول: إن سيداً رحمه الله كان تلميذاً لمن سبقه من الدعاة في هذا الميدان... ومن يدقق النظر بمؤلفات أستاذنا وسيرة حياته يتبين له خطأ هذا القول ومجانبته للصواب.
ومن الأمثلة على ذلك أن معظم كبار الدعاة الكتاب كانوا يدافعون عن الإسلام بأسلوب فيه كثير من الضعف ؛ فإذا راجت بضاعة الديمقراطية بين الناس راحوا يتحدثون عن ديمقراطية الإسلام... وإذا فتنت شعوبنا بالاشتراكية، صنعوا للإسلام اشتراكية، وإذا أطنب المفكرون في الحديث عن الحضارة كتبوا المقالات بل والمؤلفات في التعريف بحضارة الإسلام... لقد كان الإسلام عند هؤلاء الكتاب اشتراكياً.. قومياً... ديمقراطياً.. تقدمياً.
أما الأستاذ سيد فقد رفض هذه الأساليب، وحذر منها. انظر إلى قوله:
"وحين ندرك حقيقة الإسلام على هذا النحو، فإن هذا الإدراك بطبيعته سيجعلنا نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الإسلام، في ثقة وقوة، وفي عطف كذلك

ورحمة.. ثقة الذي يستيقن أن ما معه هو الحق وأن ما عليه الناس هو الباطل، وعطف الذي يرى شقوة البشر، وهو يعرف كيف يسعدهم، ورحمة الذي يرى ضلال الناس وهو يعرف أين الهدى الذي ليس بعده هدى !
لن نتدسس إليهم بالإسلام تدسساً، ولن نربت على شهواتهم وتصوراتهم المنحرفة... سنكون صــرحـاء معهم غاية الصراحة.. هذه الجاهلية التي أنتم فيها نجس والله يريد أن يطهركم... هــــذه الأوضاع التي أنتم فيها خبث، والله يريد أن يطيّبكم.. هذه الحياة التي تحيونها دون، والله يـريـد أن يرفعكم... هذا الذي أنتم فيه شقوة وبؤس ونكد، والله يريد أن يـخـفــف عـنـكـم ويرحـمـكم ويسعدكم.. والإسلام سيغير تصوراتكم وأوضاعكم وقيمكم، وسيرفعكم إلى حياة أخرى تنكرون معها هذه الحياة التي تعيشونها...".
وقال أيضاً:
"هكذا ينبغي أن نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الإسلام. لأن هذه هي الحقيقة، ولأن هذه هي الصورة التي خاطب الإسلام الناس بها أول مرة. سواء في الجزيرة العربية أم في فارس أم في الروم أم في أي مكان خاطب الناس فيه.
نظر إليهم من علٍ، لأن هذه هـي الحقـيـقـة، وخاطبهم بلغة الحب والعطف لأنها حقيقة كذلك في طبيعته. وفاصلهم مفاصلة كاملة في غموض فيها ولا تردد لأن هذه هي طـريـقـتـه، ولم يقل لهم أبداً: أنه لن يمس حياتهم وأوضاعهم وتصوراتهم وقيمهم إلا بتعديلات طفيفة ! أو إنه يشبه نظمهم وأوضاعهم التي ألفوها.. كما يقول بعضنا اليوم للناس وهو يــقــــدم إليهم الإسلام.. مرة تحت عنوان: (ديمقراطية الإسلام) ! ومرة تحت عنوان: (اشتراكية الإسلام) ! ومرة بأن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والقانونية القائمة في عالمهم لا تحتاج من الإســـلام إلا لـتعديـلات طـفـيـفــــة !!! إلى آخر هذا التدسس الناعم والتربيت على الشهوات".
وتأثر شباب هذا الجيل بأسلوب سيد فأعرضوا عن الأساليب السابقة الضعيفة، لاسيما وأن سيداً رحمه الله أشبع هذا الموضوع بـحـثــاً في مـؤلـفـاتــه بتفسيره القيم (في ظلال القران)، والذين عاشوا تلك المرحلة يدركون ما هو الجديد الذي جــاء بـــه صاحب الظلال... وكان الحق مع الدعاة الشباب الذين تأثروا بطريقة سيد في عرض الإسلام.

ثانياً: شرح معاني لا إله إلا الله وربطها بالحاكمية:

وأهم مسألة استحوذت على الأستاذ سيد رحمه الله في بداية السجن وحتى لقي وجه ربه تفسير معاني ومدلولات لا إله إلا الله، محمد رسول الله.
لقد كان يرى أن جهل المسلمين بمعاني الشهادتين هو سبب هذا الضياع والفساد الذي يلف الـعـالـــم الإسلامي، كما كان يرى أن مهمة أنبياء الله

الذين اختارهم الله وأرسلهم للعباد شرح مـعـــاني لا إله إلا الله، وذكر في الظلال أدلة كثيرة على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله.
وكــان يــرى أن "المجتمع يقوم على قاعدة العبودية لله وحده في أمره كله.. هذه العبودية التي تمثلها وتكيفها شهادة أن لا إله إلا اله، وأن محمداً رسول الله.
وتتمثل هذه العبودية في التصور الاعتقادي، كما تتمثل في الشعائر التعبدية، كما تتمثل في الشرائع القانونية سواء".
ومن الأدلــة عــلـى شــدة اهتمامه بالركن الأول من أركان الإسلام قوله في (المعالم) "طبيعة المنهج القرآني"، وفي مقدمة سورة الأنعام:
"ظل القرآن المكي يـنـزل عــلــى رســـــــول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة عشر عاماً كاملة،يحدثه فيها عن قضية واحدة، قضية واحدة لا تتغير، ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر. ذلك الأسلوب القرآني يــدعــهـــا في كل عـرض جديدة، حتى لكأنما يطرقها للمرة الأولى.
لـقـد كـان يـعـالـج الـقـضــيــة الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية،في هذا الدين الجديد... قضية العقيدة... ممـثـلـة في قاعدتها الرئيسية.. الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة".
وقــال بـعــد اســـتـطـراد مهم: "ومتى استقرت عقيدة [لا إله إلا الله] في أعماقها الغائرة البعيدة، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه [لا إله إلا الله] ".
كان رحمه الله يعلم أن هذه المسألة سوف تفجر قلوب الانقلابيين غيظاً وحقداً عليه.. ولكنه مجدد مجاهد يواجه الناس بمشكلاتهم، ويضع الحلول لها، ولا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى. وراجع نهاية كتابه: (معالم في الطريق)، فصل "هذا هو الطريق" لتراه كأنه يتحدث عن إعدامه على أيدي العسكريين من خلال حديثه عن أصحاب الأخدود.

ثالثاً: الوعي السياسي ونضوج الخبرة:

كان للأستاذ سيد اهتمامات سياسية وهو لا يزال طالباً في المرحلة الابتدائية، وحدثنا في كتابه (طفل من القرية) عن القصائد التي كان ينظمها والخطب التي كان يكتبها داعياً فيها إلى تأييد ثورة 1919 م، وازدادت اهتماماته السياسية بعد انتقاله للقاهرة لاسيما عندما كان تلميذاً للعقاد، الذي ارتبط أدبه بالسياسة وخاض معارك ضارية ضد بعض الأحزاب، وكان سيد ساعده الأيمن في هذه المعارك ؛ الأدبية منها والسياسية.
ومن تجاربه الغنية في هذا الميدان رحلة أميركا وما شاهده فيها من تناقضات ومن مواقف حاقدة ضد الإسلام والمسلمين... والمرحلة التي سبقت دخوله السجن أي من عام 1950 وهو تاريخ عودته من الولايات المتحدة حتى عام

1954، وهذه الفترة وحدها كافية لتكوين نضوج سياسي عنده، ومن الكتب الإسلامية السياسية التي أصدرها في هذه المرحلة:
- معركة الإسلام والرأسمالية.
- السلام العالمي والإسلام.
- دراسات إسلامية.
يقول الأستاذ سيد في (معالم في الطريق) فصل "التصور الإسلامي والثقافة":
"إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة. كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية.. ما هو من تخصصه، وما هو من هواياته.. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره. فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم - وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك - وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره. فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها، وعلى انحرافها، وعلى ضآلتها، وعلى قزامتها.. وعلى جعجعتها وانتفاشها، وعلى غرورها وادعائها كذلك !! وعلم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي!!".
إذن عاش أستاذنا أربعين سنة يقرأ ما هو من تخصصه وما هو من هواياته، ولم تكن حياته قاصرة على القراءة، بل كانت الخبرة لا تقل أهمية عن القراءة... ولهذا فقد كتب لنا رحمه الله كتابات ناضجة عن الموضوعات التالية:
- الصهيونية.
- الصليبية.
- الشيوعية.
- الرأسمالية.
- الاستبداد، والعبودية، والذل.
- الاستعمار وأساليبه.
- فضائح الحضارة الغربية.
وهذه فيما نعلم أمور انفرد فيها أستاذ هذا الجيل عن غيره من المجددين المعاصرين الذين حُرِموا هذه الخبرة وهذا النضوج السياسي... وكانت مواقفه السياسية لا تنفصل عن عقيدته وحسن فهمه للإسلام.

وبعد:

هذه أهم الجوانب التجديدية عند الأستاذ سيد قطب رحمه الله.. وعندما ابتلاه الله بالسجن والتعذيب والتهديد بالقتل صبر على ذلك صبراً شديداً رغم ما كان يعانيه من أمراض وضعف في جسمه، ولم يتراجع عن مواقفه الإسلامية،رغبة أو رهبة، ولهذا فقد تضاعف رواج كتبه بعد تنفيذ حكم الإعدام به، ومما ساعد على انتشارها: عذوبة الأسلوب، وإشراقة الديباجة، ومتانة العبارة وقوة الحجة، وحضور البديهة.. وقلَّ أن تجد داعية وليس في مكتبته

كتاب من كتب سيد قطب، وفضلاً عن ذلك فقد ترجمت هذه الكتب إلى معظم لغات العالم.
رحم الله الأستاذ سيد قطب رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير.

إنما أعظكم بواحدة

عبد العزيز بن ناصر السعد

((...وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (43) وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ (44) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (45) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)) [سبأ:43-46]

من هذه الآيات البينات يتضح أن الموعظة الموجهة إلى مشركي قريش كانت بسبب اتهامهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى دون تفكير أو تدبر، شأنهم في ذلك شأن الذين يتبعون أهواءهم وآثار آبائهم ومتبوعيهم دون دليل.

وقد أقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلا بد أن يصل إلى الحق وهو في الآية كون النبي -صلى الله عليه وسلم- رسولاً من عند الله عز وجل، ونذيراً لهم بين يدي عذاب شديد، وليس كما يزعمون ويرددون دون وعي ولا نظر بأنه ساحر أو كاذب أو مجنون، ((مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)) ولكي يحصل الانتفاع بهذه الموعظة العظيمة فلابد من الأخذ بجميع المقومات التي قامت عليها هذه الموعظة وهي:

- القيام لله تعالى:((أن تَقُومُوا لله)) والتجرد في طلب الحق.
- مراجعة النفس والخلوة بها أو مع شخص ثانٍ ((مَثْنَى وَفُرَادَى)).
- التفكر والاجتهاد فيما يقوله المخالف ((ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)).

وتظهر أهمية هذه المقومات في كلام علماء التفسير رحمهم الله تعالى. يقول الشوكاني في (فتح القدير) حول قوله تعالى ((إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ)): أي أحذركم بواحدة وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه وأوصيكم بخصلة واحدة وهي ((أن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى)). وهذا تفسير للخصلة الواحدة أو بدل منها أي هي: قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً لأن الاجتماع يشوش الفكر، وليس المراد القيام على الرجلين بل المراد القيام لطلب الحق وإصداق الفكر فيه ((ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)) في أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- وما جاء به من الكتاب،

فإنكم عند ذلك تعلمون أن ((مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ)) وذلك لأنهم كانوا يقولون أن محمداً مجنون، فقال لهم: اعتبروا أمري بواحدة وهي أن تقوموا لله وفي ذاته مجتمعين ومتفرقين، فيقول الرجل لصاحبه هلم فلنصدق هل رأينا بهذا الرجل من جنة أي جنون أو جربنا عليه كذباً ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه وليتفكر ولينظر. فإن في ذلك ما يدل على أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- صادق وأنه رسول من عند الله عز وجل وأنه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون اهـ.

ويقول النسفي في تفسيره ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ)): أي بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ((أَن تَقُومُوا لله)) الآية. على أن عطف بيان لها. وقيل في محل الرفع والمعنى: إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي ((أَن تَقُومُوا لله)) أي لوجه الله خالصة لا لحمية ولا لعصبية بل لطلب الحق. ((مَثْنَى)) اثنين اثنين، و ((فُرَادى)) فرداً فرداً ((ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)) في أمر محمد وما جاء به، أما الاثنان فيتفكران يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران نظرة الصدق والإنصاف حتى يؤدي النظر الصحيح إلى الحق. وكذلك الفرد يتفكر مع نفسه بعدل وإنصاف وبعرض فكره على عقله. ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمي البصائر ويمنع الروية ويقلل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب.اهـ.

ويقول الشيخ السعدي (في تفسير الكريم المنان) في تفسيره لهذه الآية: أي أعظكم بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في سلوكها وهي طريق نصف لست أدعوكم إلى اتباع قولي ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك وهي ((أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى)) أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله عز وجل مجتمعين ومتباحثين في ذلك ومتناظرين وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك فإذا قمتم لله مثنى وفرادى واستعملتم فكركم وأجلتموه وتدبرتم أحوال رسولكم هل هو مجنون فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته ووصفه، أم هو نبي صادق منذر لكم ؟ فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوها لتبين لهم أكثر من غيرهم أن رسول الله ليس بمجنون، لأن هيئته ليست كهيئة المجانين وخنقهم واختلاجها.. فكل من رأى أحواله وقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا سواء تفكر وحده أو مع غيره ؛ جزم بأنه رسول الله حقاً وتبين صدقه. اهـ.

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى حول ظلال هذه الآية: وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ)) الآية، إنها دعوة إلى القيام لله عز وجل بعيداً عن الهوى... بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض.. بعيداً عن التأثر بالتيارات في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تستشجر في القلب فتبعد به عن

الله تعالى. دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ولا مع العبارات المطاطة التي يبتعد القلب والعقل عن مواجهة الحقيقة في بساطتها، دعوة إلى منطق الفطرة الهادي الصافي بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة، منهج بسيط يعتمد على التجرد مـن الـرواسب والمؤثرات، وعلى مراقبة الله عز رجل وتقواه وهي ((وَاحِدَةٍ)) إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق: القيام لله لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة.. التجرد.. الخلوص.. ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون.. ((أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى)) مثنى ليراجع أحدهما الآخر ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء، وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق. ((ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)) فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر. وما يقول شيئاً يدعو إلى التظنن بعقله ورشده. إن هو إلا القول المحكم القوي المبين اهـ.

وبعد هذه النقول من بعض كتب التفسير حول هذه الآية نستطيع الآن توضيح مقومات هذه الموعظة العظيمة وشروط الانتفاع بها بما يلي:

الشرط الأول: ((أَن تَقُومُوا لله)):

إن هذا الشرط هو الأساس لكل عمل، وبدونه يفسد العمل، ولا يوفق فيه صاحبه ولا يبارك له فيه، فالقيام لله عز وجل هو المنطلق لصحة العمل إذا اقترن ذلك مع المتابعة فيه للرسول صلى الله عليه وسلم.

فالإخلاص في البحث عن الحق والصدق في طلبه شرط أساسي للوصول إلى ذلك الحق، وعندما يغيب الإخلاص ينعدم الانقياد إلى الحق حتى ولو كان مثل فلق الصبح، لأن من تعلق قصده بغير وجه ربه عز وجل ثقل عليه الانقياد للحق وقصرت همته عن بلوغه والعمل به.

فوجب على من أراد معرفة وجه الحق في أي أمر أن يخلص قصده ونيته لله عز وجل وأن يتجرد لاتباع الحق عند ظهوره، ولو على لسان مخالفه، وأن يعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

ولكن قد يكتنف القائم لله عز وجل بعض الملابسات والظروف التي قد تغطي على الحق أو تلبسه بالباطل، فيقبل الباطل ظاناً أنه الحق وذلك بسبب بعض الظروف المحيطة به لذلك فإنه لامناص من توفر باقي الشروط للانتفاع بموعظة الله عز وجل ومنهجه السوي في الوصول إلى الحق المنشود وذلك من.

الشرط الثاني: ((مَثْنَى وَفُرَادَى)):

والالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق أو تشوه وجهه، وذلك في مثل الأجواء الجماعية والجماهير الجاهلة والتي غالباً ما

تتصف بالغوغائية والتقليد الأعمى واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال، مما قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس متهماً نفسه وظاناً أن الحق مع الأكثرية، دون أن يدري أن هذه الحركة الغوغائية قد غطت الحق، وضيعت معالمه، فاشتبه مع غيره، خاصة عند من قلت بصيرته وقل نصيبه من هدى الله عز وجل وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما حدث من اتهام قريش للرسول -صلى الله عليه وسلم- بشكل جماهيري غوغائي، وقولهم ساحر وكاهن ومجنون.. الخ، فوعظهم الله عز وجل أن يقوموا لله ويخلصوا وجوههم له ويبتعدوا عن هذه الأجواء ويرجعوا إلى أنفسهم، حيث يقف الإنسان مع نفسه أو معه صاحبه ويصحب ذلك التفكير العميق والتدبر لحال الرسول صلى الله عليه وسلم، فلابد أن يصلوا إلى الحق والهدى وهو ما جاء في ختام الآية ((مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)).

ونخرج من هذه الآية بفائدة سيأتي تفصيلها في ثنايا البحث إن شاء الله، و هي أن القاصد للحق أو الباحث في مسألة خلافية كبيرة أو صغيرة عليه أن يتجنب المناظرة في جو جماعي، لأن المناظر يكون أقرب إلى ترك رأيه إذا تبين أن الحق في خلافه إذا كان التفكير مع شخص واحد، بخلاف حال الجماعة فقد يعز عليه الاعتراف بالخطأ أمام مؤيديه أو مخالفيه المجتمعين حوله، والله تعالى عليم بمسارب نفوس خلقه، خبير بطبائعهم فلذلك وعظهم موعظة من يعلم حالهم ويعلم ما يصلحهم ويهديهم إلى صراطه المستقيم ومنهجه القويم ((أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)).

الشرط الثالث: ((ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)):

وهذا الشرط هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق بعد الالتزام بالشرطين السابقين، فالتفكير والعلم وإعمال الرأي هو المتمم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق وتبين الهدى من الضلال، وهذا الشرط يقودنا إلى قضية هامة ألا وهي قضية العلم الشرعي، ومعرفة دين الله عز وجل، وإقامة الدليل والبرهان على ما يعتقد أنه الحق، وإذا كان الكفار الذين خوطبوا مباشرة بهذه الآية ووجهت إليهم هذه الموعظة العظيمة ما كان عندهم علم شرعي وليس عندهم الدليل فيما يعتقدونه فلذلك كان المطلوب منهم التفكير بحال الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإقامة الدليل على ما يتهمونه به، إذا كان الأمر بالتفكير مع الكفار بهذه الصورة فإن الأمر بالنسبة لطالب الحق في المسائل الشرعية والعقائدية والفكرية فلا بد أن يكون مؤهلاً من الناحية العلمية لبحث هذه المسألة، ودراسة أوجه الخلاف حولها، وإلا لم يكن للتفكير فائدة كمن يحارب بغير سلاح ولا عدة، وقد كان عند كفار مكة من العلم بأحوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصفاته وصدقه وأمانته ما يكفي، ولو أنهم فكروا في ذلك لقادهم ذلك إلى الإذعان والانقياد للحق الذي جاءهم به الرسول صلى

الله عليه وسلم. وكذلك الحال لكل مختلفين أو متناظرين إذا لم يكن لديهم علم بما يختلفون فيه فإنه لا فائدة من التفكير، لأن أداة التفكير الأساسية هي العلم بحال القضية المختلف فيها فالمقصود إذن بالتفكير هنا هو البحث عن الأدلة الشرعية والتحقق من ثبوتها ودلالتها على المراد، كما يدخل في العلم أيضاً العلم بحال القضية المختلف حولها وملابساتها.. الخ. فالجاهل بذلك كله لا يستطيع الوصول إلى الحق لفقده الأدوات الموصلة إليه، فلذلك نجد مثال هؤلاء يوجههم التقليد الأعمى دون فكر أو نظر.
وإذا كان الله عز وجل قد بين لنا في كتابه الكريم منهجاً للوصول إلى الحق فيما اختلف فيه، فإن هذا المنهج وذلك الطريق السوي يمر أحياناً عبر أنواع من الحوار والمناظرة لابد منها، فالمتتبع لمنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله وحده يجد أن أكثرهم قد وقف مع قومه موقف المناظرة وإقامة الحجة والنصح، وتبين الحق من الباطل، والصبر على ذلك، مع شدة رفضهم للحق وعنادهم وتعنتهم، ولكن مهمة البلاغ والدعوة إلى الله عز وجل تستلزم شيئاً من ضبط النفس والتحمل حتى يتم البلاغ على أكمل وجه.
ولكثرة الخلاف الواقع بين طوائف المسلمين اليوم، وخاصة بين الطوائف إلى أهل السنة ؛ فإنا نقدم هذه الكلمات التي نحسب أن فيها إشارة إلى الطريقة المثلى في الحوار والمناظرة المؤدية بإذن الله عز وجل إلى الاجتماع والائتلاف في حدود منهج السلف وأصول الشريعة، وقد اتضح من الآية السابقة التي هي موضع البحث أصول للحوار نطرحها بهذه المناسبة ونضيف عليها ما وقع عليه الفكر والنظر من آداب الخلاف، وقبل ذكر هذه الأصول يحسن التقدمة لها بأهمية هذا الموضوع، وبعض التعريفات والوقفات السريعة.

أهمية هذا الموضوع:

إن الإلمام بآداب الحوار والاختلاف أمر مهم ينفع صاحبه في حياته كلها، وبخاصة الداعية إلى الله عز وجل، وهذه الجوانب المفيدة كثيرة نقتصر منها على ما يلي:
1- من المعلوم أن مهمة الداعية إلى الله عز وجل هي بذل الأسباب في هداية الناس ودلالتهم إلى الخير، ولابد أن يواجهه في ذلك التواءات النفوس وخلافهم معه في الرأي، فإذا لم يكن لديه من الإلمام بآداب الحوار والاختلاف الشيء الكافي لكي يصبر ويستمر في دعوته فقد ينفر الناس منه وهو يسعى لجمعهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.
2- إن أهمية الإلمام بآداب الحوار والاختلاف ترجع للظروف الملحة في هذا العصر الذي يعد عصر تعدد الجماعات الإسلامية والفرقة الموجودة بينهم، وذلك لأن الإلمام بذلك يساعد في تقارب القلوب وتفهم الأفكار مما يكون له الأثر في تضييق هوة الخلاف والتماس العذر للعاملين في الدعوة الإسلامية، وهذا يؤدي إلى الوحدة المنشودة.

3- كما يفيد تفهم هذه الآداب أيضاً في معالجة وجهات النظر المختلفة التي تكون بين أفراد المجموعة الواحدة، بل أفراد العائلة الواحدة لأن فقد هذه الآداب يضخم المشاكل ويجعل من الحبة قبة كما يقولون.

الفرد بين الجدال والحوار:

الجدال: مصدر جادل وهو المناقشة على سبيل المخاصمة، ومقابلة الحجة بالحجة.

والحوار: الجواب. حاوره محاورة وحواراً جاوبه وراجعه. فهو مراجعة في الكلام بين طرفين أو اكثر دون ما يدل بالضرورة على وجود خصومة بينهما، وقد يكون الجدل والحوار بمعنى واحد إذا خلا الجدل من العناد والتعنت للرأي كما ذكر تعالى في سورة المجادلة حيث قال: ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)) فسمى الله سبحانه وتعالى مجادلة المرأة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ومجاوبته لها محاورة، والله أعلم. وعلى أية حال فالحوار كلمة غالباً ما تستعمل في المناظرة الهادئة التي يسود عليها الألفة والبحث عن الحق. والجدال غالباً ما يكون جوه صاخباً وقد ينشأ عنه خصومة وعناد.

ما هي نتيجة الحوار ؟

ليس شرطاً للحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر ويتفقان على موقف واحد فهذا نجاح لاشك فيه. وإنما يعتبر الحوار ناجحاً أيضاً إذا توصل الطرفان إلى أن كل قول يقوله أحدهما هو صحيح. أو في الإطار الذي يسعه الخلاف، أما فشل الحوار فيكون عندما يتشبث كل طرف برأيه ويُخَطِّىء الطرف الآخر.

بعض الآيات والأحاديث الواردة في آداب الحوار وحسن المناظرة:

قال تعال:

- ((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً))
- ((وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ)).
-((وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)).
- ((وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)).
- ((ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ)).
- ((وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)).
- ((لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)).
- ((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)). والآيات في ذلك كثيرة.

أما الأحاديث النبوية فمنها:

- »من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت«.
- »الكلمة الطيبة صدقة«.

- »تبسمك في وجه أخيك صدقة«.
- »وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟«.
- »الكبر بطر الحق وغمط الناس«.
- »الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها«.
- »يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا«.
-»ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب«.
- »إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطيه على العنف، ومالا يعطي على سواه«.

والأحاديث في ذلك كثيرة.

والآن وبعد هذه التعريفات والآيات والأحاديث التي تشير إلى الآداب الإسلامية في المعاملة مع الناس ومحاورتهم نأتي لتفصيل أصول الحوار في ضوء الآية الكريمة التي كانت منطلق هذا البحث وهي قوله تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)).

وكما تمت الإشارة في تفسير هذه الآية وما يتعلق بها أنها تعتبر منهجاً قويماً لمن أراد الوصول إلى الحق، ولأن الحوار المقصود منه الوصول إلى الحق فإن هذه الآية الكريمة ترسم لنا بمقوماتها الثلاثة أصول الحوار الصادق، وذلك فيما يلي:

الأصل الأول: الإخلاص لله عز رجل والتجرد الكامل قبل الحوار وأثناءه وبعده ((أَن تَقُومُوا لله)).

الأصل الثاني: العلم بحقيقة واقع القضية المطروحة من الناحية الشرعية والواقعية ((ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)).

الأصل الثالث: اعتبار مراعاة ظروف الحوار والمحاورة ((مَثْنَى وَفُرَادَى)).

الأصل الأول: الإخلاص لله عز وجل والقيام له وحده ((أَن تَقُومُوا لله)):

ويدخل تحت هذا الأصل عدة متعلقات نذكر منها ما يلي:

أ - تصحيح النية قبل الدخول في الحوار: وذلك بمساءلة النفس عن الغرض من الحوار هل هو إرادة الحق فحسب، أو أن هناك أغراضاً أخرى كحب الظهور وإفحام الخصم أو أن يرى الناس مكانه، فإذا كانت هذه الأغراض موجودة فليحجم المحاور عن الحوار حتى تتجرد نيته تماماً لله عز وجل وأنه يريد الحق ولو ظهر على لسان الطرف الآخر.

ب - حسن الاستماع والاهتمام بكلام الطرف الآخر: فالمتحدث البارع مستمع بارع فلابد من حسن الاستماع والانتباه لما يقوله الطرف المقابل وعدم مقاطعته وتركه حتى ينتهي ويدون أي فكرة تطرأ أثناء كلامه حتى يفرغ تماماً وهذا من التواضع وإعطاء الأهمية لكلام الآخرين حتى لا يحصل العجب بالنفس وأنه الذي ينبغي أن يستمع له وأن غيره ليس عنده ما يستحق ذلك، كذلك

على المحاور المخلص أن يراعي الوقت أثناء حديثه فلا يستأثر بالكلام كله بل يعطي الفرصة المكافئة للطرف الآخر حتى لا يحصل العجب بالنفس المنافي للإخلاص أو الاحتقار للطرف الآخر، وكذلك لأن المستمع لا يستطيع أن يركز في سماع من يحاوره دون مقاطعة له أو انشغال عنه أكثر من ربع ساعة وبعد ذلك يكل الذهن ويقل التركيز وكما يقال: "إذا أردت أن ينفض الناس من حولك ويسخرون منك فتكلم بغير انقطاع ولا تعطي لأحد الفرصة في الحديث".
ج - مراقبة النفس أثناء الحوار: جرت العادة عند أكثر المتحاورين أن يركزوا انتباههم على الطرف الآخر يحصرون الملاحظات على فكرته وطريقته في الحوار، دون أن يراقبوا أنفسهم بنفس المقياس، فينسى الإنسان نفسه ونوازعها ونبرات صوته وطريقته في الرد مما يكون له أثر سيء على الحوار. ولاشك أن الإخلاص في الحوار يجعل الإنسان ينتبه لنفسه وعيوبه أكثر من غيره، وضعف الإخلاص يحدث في النفس عجباً وشعوراً بأنها فوق الملاحظات.
د - التسليم بالخطأ: الإنسان بشر يخطىء ويصيب، فمن الطبيعي أن يخطىء المحاور في مناقشاته وحواره مع غيره، والإخلاص لله عز وجل يفرض عليه التسليم بالخطأ عندما يتبين له وجه الصواب، بل يشكر لصاحبه فضله في تبصيره له بالخطأ.
هـ - الحذر من الكذب والغموض واللف والدوران: قد يلجأ المحاور إلى الأساليب الغامضة بل الكذب أحياناً إذا أحس بضعف حجته، أو أنه يريد أن يلبس على الطرف الآخر ويوهمه بما ليس له حقيقة، وهذه صفة ذميمة يرفضها الإخلاص لله تعالى والخلق الكريم، بل إن الحوار المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، وإذا طرح سؤال لا يريد أحد الطرفين الإجابة عليه فيعتذر عن الإجابة، ولا يلجأ إلى الغموض واللف والدوران لأنه إذا فقدت الثقة بين الطرفين فقد فشل الحوار.
و - الأمانة: لابد من الأمانة في العرض والنقل واحترام الحقيقة وأن لا تقطع عبارة عن سابقتها أو لاحقتها عند الاقتباس لتخضعها لخدمة فكرتك فهذا نقص في الدين والإخلاص لأنه أخو الكذب فضلاً عن أنه يُعرِّض من هذه صفته للسخرية وعدم الثقة به لتلاعبه بالنصوص.
ز - الإنصاف : من الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه وثناءه على الأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة وحسن الاستدلال والمعلومات الجديدة التي يوردها الطرف الآخر ويسلم بها وأن يذكر الطرف الآخر الإيجابيات والحسنات التي تتمثل فيه أو في فكرته وإن ظهر معها جوانب سلبية، كما أن من الإنصاف وضع النفس موضع الطرف الآخر والظروف المحيطة به والتي أدت به إلى الرأي المخالف.

ح - وضع الخطأ في حجمه الطبيعي وتجنب الشماتة: عند وضوح خطأ الطرف الآخر يجب أن يشعر بأن الخطأ ميسور التصحيح حتى لا يداخله الشيطان وتفقده الدعوة من جراء خطئه كما أن تواضع الطرف المصيب أمر مهم حتى لا يداخله الشيطان فيشعر بالتعالي على الطرف الآخر أو يشمت به وبفكرته الخاطئة، فالمسلم المخلص يقصد من الحوار إظهار الحق ولو على لسان مخالفه.
ط - على كل طرف في الحوار تجنب الهزء والسخرية وكل ما يشعر باحتقار أحدهما للآخر أو ازدرائه لفكرته أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم أو التبسمات والضحكات التي تدل على السخرية.
ي - تجنب ضمائر المتكلم أثناء الحديث: حتى لا يدخل الشيطان إلى النفس فيقع فيها العجب والغرور، ينبغي تجنب إدخال ضمائر المتكلم أو ضمير الجماعة في الحديث كتكرار "نحن، أنا، عندنا ... الخ" مع ما فيها من المضايقة للطرف الآخر.
يتبع

قراءة في فكر مالك بن نبي
- الحلقة الأخيرة -

محمد العبدة

بعد الحلقة الأخيرة في قراءة فكر مالك بن نبي كانت النية متجهة للكتابة عن بعض أخطائه ضمن الكتابة عن المدرسة التي تأثرت به، وفي مكان آخر غير صفحات هذه المجلة، ولكن بعض القراء أشاروا وطلبوا أن تكون الكتابة عن مالك في المجلة حتى تتضح الصورة، وتظهر الإيجابيات والسلبيات كي تقع الفائدة المرجوة وتتجنب الأخطاء، واستجابة لهذا سأكتب عن الأخطاء ضمن المنهج الصحيح في الجرح والتعديل ؛ وهو أنه إذا غلب على الرجل الخير فالأولى تقديم إيجابياته والتغاضي عن سلبياته أو ذكرها مجملة ما أمكن ذلك، وما أردت في المقالات السابقة إلا عرض خلاصة أفكاره عن أمراض العالم الإسلامي وشروط النهضة، وهي أفكار تستحق الدراسة والتأمل، ونتمنى أن يستفيد منه المسلمون في كل مكان. فقد أصاب فيها المحز، ووضع الإصبع على الجرح، ورغم مرور سنين على طرحها، لكن مشكلة المسلمين لا زالت كما حللها وكتب عنها.
إن الأخطاء التي سنتكلم عنها ليست أخطاء عادية مما يقع لكل كاتب، فكان لابد من ذكرها والتنبيه عليها.

النظرة السطحية للأحداث والشخصيات:

كان مالك بن نبي عميقاً في فهم غور الاستعمار وأساليبه الخفية للتسلط على العالم الإسلامي، وعميقاً في معالجة (القابلية للاستعمار) عند المسلمين، ولكنه في عالم الواقع والسياسة فيه سذاجة أو طفولة سياسية، وهذا ليس غريباً فقديماً تعجب الإمام ابن الجوزي من شخصية أبى حامد الغزالي، كيف يجمع بين الفقه والذكاء من جهة، وبين الصوفية وحكايات العجائب والخرافات من جهة أخرى.
أ - أعجب مالك بثورة 23 يوليو في مصر، ومدحها ووضع آماله فيها من ناحية الإصلاح الزراعي والصناعة، وإنشاء وزارة الثقافة والإرشاد، والحياد الإيجابي، وكل الدجل والشعارات التي أطلقها مهرج هذه الثورة.
فثورة يوليو 1952 عند مالك "من أهم الحوادث بالنسبة للصراع الفكري، وكان لهذا الحدث تأثير شرارة كهربائية انطلقت في وعي البلاد العربية والعالم الإسلامي " (1) "وكل عربي يعلم أن نظرة الرئيس جمال عبد الناصر خطت للنهضة العربية الاتجاه الصحيح الذي يحقق الشرط الأول للانسجام مع القانون العام..." (2).
كيف يكون هذا الزعيم بهذه الصفات ونحن لا نعلم أن هناك زعيماً آخر في العصر الحديث ترك بلاده خراباً مثل جمال عبد الناصر ؟ كيف لا يدري مالك بن نبي وهو من هو في فهم اللعبة الاستعمارية أن عبدالناصر كان ضمن (لعبة الأمم)، وأنهم ساعدوه على صنع هذه البطولة المزيفة، وحتى لو كانت هناك بعض الإصلاحات المادية - وهي لم تتحقق فعلاً - فأين الحديث عن الاستبداد السياسي وكرامة الشعب المسحوقة ؟ بل أين تطبيق الإسلام ؟.
2 - علق مالك بن نبي آمالاً كبيرة على مؤتمر باندونغ، واعتبره كتلة سلام للعالم، واعتبر هذا التنوع الذي يضم تسعاً وعشرين دولة، تضم تراثاً فكرياً متفاوتاً "يمكن بطبيعة الحال أن يقدم العناصر اللازمة لبناء قاعدة متينة للسلام، (3). هذه نظرته لهذا المؤتمر، والحقيقة أنه كان يحب التكتلات الكبيرة لمواجهة الغرب، وقد يكون معه بعض الحق في هذا، ولكن مثل هذا التكتل كان يحمل بذور فشله، وقضية الحياد التي يرفعها لم تكن صحيحة، فكل دولة منحازة، والهند التي كانت من أبرز أعضاء المؤتمر وتدعي السلام والروحانية كانت تحمل بين جوانحها الكره العميق للمسلمين، بل إن صورة الهند العداونية كانت من البديهيات عند الشباب المسلم في الستينات، ولم ينخدعوا بكلام الدبلوماسي الهندي "ليس لدينا من الخشوع ما يكفينا ونحن ذاهبون إلى باندونغ" (4)، ويصدق مالك بن نبي أن نهرو حمل رسالة اللاعنف التي سلمه إياها غاندي، ونهرو هذا يكتب في (المجلة العصرية) مقالتين ينكر فيهما على الجمعيات المسلمة الحركة ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية"(5)، وهند نهرو هي التي احتلت كشمير وأخذتها بالقوة، فأين السلم وأين

الديمقراطية التي تدعيها؟ وما الفرق بين الهند وباكستان في (القابلية للاستعمار).
وقد أدرك مالك أخيراً عدم جدوى أي محاولة تجمّع ليست عناصره منسجمة (6)، كما كان يلمح في آخر حياته بأن ثورة 23 يوليو لم تقم بالواجب، ولاشك أن الكبار من أمثال مالك بن نبي يتراجعون إذا عرفوا الحق.
3 - كانت روسيا بعد الثورة الشيوعية تدعي أنها دولة صديقة للشعوب وللعالم الثالث، وأنها ليست دولة استعمارية، وقد صدّق مالك بن نبي هذه المقولة، يقول: "فالمناخ الاستعماري الذي تكوّن في أوربا وأمريكا على حد سواء، وفي الاتحاد السوفييتي قبل الثورة أيضاً" ولكن الحقيقة أن روسيا مستعمرة قبل الثورة وبعدها، ولم تتخل عن جشع الدول الكبرى، وهي وجه آخر للحضارة الغربية.
4 - نقد مالك الانتخابات السياسية التي تطالب بالحقوق فقط وتنسى الواجبات، وتعتمد أسلوب المظاهرات والحفلات، وهو محق في هذا، ولكنه شارك في هذه الوسائل، وساعد (مصالي الحاج) في قيام الحزب الوطني،مع أنه ينتقده هو وحزبه، ولكنه حب الحركة ثم يكتشف الأخطاء بعدئذ.

اللاعنف:

أعجب مالك بن نبي بقصة (اللاعنف) عند غاندي، فهو يذكرها دائماً،بل يذكرها بخشوع، ويبني عليها أحلامه الفلسفية في السلام العالمي، واتجاه العالم نحو مناقشة قضاياه بالسلم والحوار والفكر، يقول عن منطقة جنوب شرقي آسيا: "هي مجال إشعاع الفكر الإسلامي وفكرة اللاعنف،أي مجال إشعاع حضارتين: الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوكية، الحضارتان اللتان تختزنان أكبر ذخيرة روسية للإنسان اليوم" (7).
ويحلق في الخيال والطوباوية عندما يقول: "فكذلك رفات غاندي التي ذروها فإن الأيام ستجمعها في أعماق ضمير الإنسان من حيث سينطلق يوماً انتصار اللاعنف ونشيد السلم العالمي" (8). "هذا الرجل (غاندي) كان يتقمص إلى درجة بليغة الضمير الإنساني في القرن العشرين". (9).
إن فكرة (السلم العالمي) بمعنى أن يحل السلام في العالم بشكل دائم،أو أن العالم يتجه نحو هذا الهدف، هذه الفكرة غير واقعية وغير شرعية، وهي فكرة خيالية محضة، فهي تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره القرآن الكريم ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)) [البقرة:251] كما تنافي مبدأ الجهاد في الإسلام، وهي غير واقعية لأن من طبيعة البشر التغالب والعدوان إن لم يردعهم رادع، والدول الكبيرة القوية تأكل الضعيفة إن لم يكن عسكرياً فاقتصادياً. والبشرية لن تبلغ رشدها في عمرها الثالث فتصبح الفكرة ذات قيمة في حد ذاتها كما يتصور مالك بن نبي (10)، بل إنها كثيراً ما تتردى من الناحية الإنسانية، والبشرية لا تبلغ رشدها إلا إذا حكمها الإسلام.

إن فكرة (اللاعنف) و (الإنسانية) من الأفكار الخطيرة التي بذرها مالك ووسعها بعدئذ تلامذته، وحاولوا اللف والدوران كثيراً حول مبدأ الجهاد الإسلامي.

الإنسانية والعالمية:

وقريب من مبدأ (السلام العالمي) كان مالك يحلم بأن تتوحد الإنسانية في مجتمع عالمي، ويظن بأن البشرية تسير بهذا الاتجاه،"فالعالم قد دخل إذن في مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته إلا على أساس نظم الأفكار" (11)، "وحين اتجه العالم إلى إنشاء منظمة اليونسكو، كان يهدف إلى (تركيب) ثقافة إنسانية على المدى البعيد" (12) "وما محكمة العدل في لاهاي والقانون الدولي، والقانون البحري إلا مظاهر خاصة لذلك الاتجاه العام الذي لايفتأ يمهد الطريق لتوحيد العالم " (13).

هذا المفهوم للإنسانية مفهوم وهمي يراد به محو الشخصية الثقافية الحقيقية لكل مجتمع ولكل أمة، وإذا كان العالم قد تقارب وانتشرت الأفكار في كل مكان، وقد يستفيد المسلمون من ذلك في نشر دينهم الذي يملك عناصر التأثير والقوة، ولكن أن يتوحد العالم في مجتمع واحد فهذا مفهوم ذهني مجرد، وإذا كان هو نفسه شعر بأن فكرة الأفرو آسيوية صعبة التحقيق، ولذلك عاد وكتب عن (الكومنولث الإسلامي) ؛ فكيف يظن أن العالم يسير نحو الوحدة ؟!

ضعف ثقافته الشرعية:

لم يتصل مالك بن نبي بعلماء عصره ليستفيد منهم، ورغم اعترافه بأهمية جمعية العلماء في الجزائر التي كان على رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ؛ إلا أن علاقته بها كانت فاترة ويعترف هو بعد لأي أنه كان مخطئاً في هذا (14)،ولذلك كانت دراسته للإسلام نابعة من قراءاته الشخصية وهي قليلة إذا قيست بقراءاته في الفكر الغربي، وهذا ما جعله يخطئ في أمور كثيرة سواء كانت في الفقه والأحكام أو في النظرة لبعض جوانب التاريخ الإسلامي، فمن رموز الثقافة عنده الفارابي، وابن سينا، وابن رشد (15).. "والمجتمع الإسلامي في عصر الفارابي كان يخلق أفكاراً وفي عهد ابن رشد يبلغها إلى أوربا وبعد ابن خلدون لم يعد قادراً على الخلق ولا على التبليغ" (16).

وفي العصر الحديث فإن من رموز الثقافة عنده جمال الدين الأفغاني، وهو موقظ الشرق، وهو رجل الفطرة... الخ. وإطلاقه هذا القول جزافاً يدل على ضعف ثقافته الشرعية.

وفي التاريخ يلمز كثيراً بنى أمية دون وضع الضوابط للإنصاف والتقويم الصحيح. وبسبب عدم وضوح توحيد الألوهية ظن أنه من الممكن اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند "وليس بوسعنا أن نغض من قيمة الدور الذي يمكن أن يؤديه اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند" (17).

ولم يشر في كتبه إلى موضوع تحكيم الشريعة الإسلامية، وكان معجباً بدولة الوحدة عام 1958 مع أنها لا تطبق شرع الله، وهناك أخطاء جزئية لا نريد التفصيل فيها ونعتقد أنه لو نبه عليها لتراجع.
وقبل أن ننهي هذه القراءة لفكر مالك بن نبي لابد من التنبه لأمور:
أ - هذه السلبيات والأخطاء يجب أن لا تمنعنا من الاستفادة من الإيجابيات، فهذا المفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر.
وكأني أسمع بعض المسلمين يقولون: ما دامت هذه آراؤه فما الفائدة من قراءة كتبه ؟ وهذا خطأ فادح منهم، فنحن نقرأ لأعداء الإسلام ونستفيد منهم ؛ فكيف بمفكر كان يسعى - حسب جهده - لخير المسلمين، وإن أخطأ في مواضع.
2 - إن مالك بن نبي شخصية كبيرة، فهو يتراجع عن الخطأ إذا تبين له، لقد نصح جمعية العلماء في الجزائر بصدق وقال كلاماً دقيقاً في هذا "لقد كان على الحركة الإسلامية أن تبقى متعالية على أوحال السياسة والمعامع الانتخابية" (18) "وبأي غنيمة أراد العلماء أن يرجعوا من هناك وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح الأمة لا في مكان آخر" (19)، وهو يقصد سير العلماء في القافلة السياسية عام 1936.
ويقول: "فيما يخصني لقد بذلت شطراً من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية، وشهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لجمعية العلماء" (20)، ويتأسف لأن الجمعية لم تدعه للمساهمة في شؤونها الإدارية، ومع ذلك فقد تراجع واعترف أن موقفه من الجمعية لم يكن طبيعياً بسبب نظرته الخاصة للشيخ ابن باديس.
3 - رغم معرفة مالك الدقيقة بالفكر الغربي، وتأثره به في بعض الأحيان إلا أن أمله في التغيير بقي معلقاً في الأصالة الإسلامية، وبالرجوع إلى المنبع الأساسي للمسلمين "فالعالم الإسلامي لا يستطيع أن يجد هداه خارج حدوده بل لا يمكنه في كل حال أن يلتمسه في العالم الغربي الذي اقتربت قيامته، ولكن لا يقطع علاقته بحضارة تمثل أحد التجارب الإنسانية الكبرى، بل المهم أن ينظم العلاقة معها" (21)، "والمسلم لا يزال يحتفظ بالقيمة الخلقية، وهو ما ينقص الفكر الحديث، فالعالم الإسلامي لديه قدر كبير من الشباب الضروري لحمل مسؤولياته مادياً وروحياً" (22).
فهل يتحمل الشباب هذه المسؤوليات ؟ نرجو ذلك.

الهوامش:

أ - الصراع الفكري / 22.
2 - تأملات / 178.
3 - فكرة الأفرو آسيوية / 98.
4- المصدر السابق / 7.

5 - مسعود الندوي: تاريخ الحركة الإسلامية في الهند / 220.
6 -- فكرة كومنولث إسلامي / 7.
7 - في مهب المعركة / 87.
8 - المصدر السابق لم 208.
9 - المصدر السابق / 207.
10 - إنتاج المستشرقين / 35.
11 - مشكلة الثقافة / 14.
12 - المصدر السابق / 96.
13 - وجهة العالم الإسلامي / 154.
14 - بقي له ملاحظات مهمة على جمعية العلماء سنذكرها في نهاية المقال.
15 - ثروة النهضة / 71.
16 - مشكلة الثقافة / 48.
17 - وجهة العالم الإسلامي / 170.
18 - شروط النهضة / 38.
19 - المصدر السابق / 34.
20 - في مهب المعركة / 190.
21 - وجهة العالم الإسلامي / 127.
22 - المصدر السابق / 157.

صور من عداء المشركين للدعوة

معن عبد القادر

مقدمة:

وقف المشركون من دعـــوة رســول الله -صلى الله عـلـيـه وسلم- موقفاً لا يتغير في جوهره وهدفه، فهو العداء المستحكم، والسعي الحثيث إلـى قـتل الدعوة في مراحلها المختلفة، إلا أن هذا الهدف قد ظهر في صور متعددة تتخذ مرحليّة جـلـية فـي العداء. وهذا المقال يلقي الضوء على أهم تلك الصور، ويشير إلى المرحلية التي سلكها الـمـشـركون في العداء، معرجاً على موقف أهل الحق - متمثلين في رسول الله وصحبه - من هذه الصور المختلفة.

1- مرحلة عدم الاكتراث بالدعوة:

بدأ الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالدعوة منذ أن نزل عليه ((يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ)) وكانت دعوته في بادىء الأمر سرية، ولا يُفهم من ذلك أن الـمـشـركـيـن فـي تلك الفترة لا يعلمون عن محمد ودعوته شيئاً، لكن حيث جاء الرسول بما يخالف ما عليه القوم مخالفة كلية، وحيث علم أنه ليس من

السهولة أن يلتف الناس حوله إذا جهر بالـدعـــوة بيـنهم مجتمعين، فقد كان يتخير من يتوسم فيه القبول فيسرُّ له بأمر الدعوة، وهكذا خفي عـلـى الـمـشـركين أو الكثير من أتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولكنهم لم يخف عليهم أن للرسول دعـوة . فـهــذا أبو ذر وعمرو بن عنبسة وغيرهم يأتون النبي لأنهم قد سمعوا به، وانتشر بينهم أنه يدعــو إلـى أمر جديد، إلا أن الرسول وهو في بداية أمره لم يواجه قومه بتسفيه ما هم عليه، فلم ينشـأ عـندهم الشعور القوي بالخطر من دعوته، فكان من أثر ذلك أنهم لم يكترثوا بأمره.

جاء في سيرة ابن هشام: "فـلـمـا نـادى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته" [تهذيب سيرة ابن هشام / 55].

وهكذا الأمر دائماً، عندما لا يشعر أهل الباطل بأن في دعوة الحق خطراً عليهم، فإنهم لا يبدون اكتراثاً بأمرهم، وإن كانوا لا يخفون بغضهم وكراهيتهم واستهزاءهم بالحق وأهله، ولكن أنى لدعوة أن تنتشر ويظهر أمرها، وتقوم بالأمانة المنوطة بها، وهي تستر ركناً عظيماً من أركانها وهو الكفر بالطاغوت. قد يكون هذا ممكنا في حق فرد، ولكنه لا يكون في حق دعوة بأكملها.

2 - المحاولات غير المباشرة لإسكات الرسول صلى الله عليه وسلم:

ولما أعلن الرسول كفره بآلهتهم، وتسفيه معتقداتهم، حاول المشركون أن ينهوا الأمر بمحاولة إسكاته عن القيام بدعوته، وذلك عن طريق عمه أبى طالب، فمن ذلك طلبهم منه في المرة الأولي أن يكف ابن أخيه عنهم أو يتركهم ليروا أمرهم فيه فردهم أبو طالب رداً جميلاً . (التهذيب / 55).

ولما لم تثن تلك المحاولة الرسول عن عزمه حاولوا مرة أخرى بلهجة أشد. (التهذيب / 56) وكان جواب الرسول واضحاً صريحاً وقاطعاً في أنه لا أمل في ثنيه عن دعوته: "والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار" (التعليق على فقه السيرة / 110).

3 - صياغة الاتهامات لتضليل العامة:

ولما أيقنت قريش أنها لا تستطيع ثني الرسول عن الصدع بدعوته، حولت جُلَّ جهودها إلى إنشاء مناعة عند عامة العرب ضد الإيمان به، أو حتى الاستماع إليه، فاجتمعت قريش قبل موسم الحج بزعامة الوليد بن المغيرة لصياغة الاتهامات المناسبة لصد الوفود عن الاستماع إلى الرسول "فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً" (التهذيب / 57)، فتقلبت أقوالهم بين

ساحر وكاهن وشاعر، ثم استقر رأيهم على اتهامه بالسحر، كما تظهر القصة، وإن كانوا في الحقيقة لم يستقروا على اتهام واحد ((إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ)).
ومن ذلك ما لقي به المشركون الطُفَيل بن عمرو الدوسي، وأعشى قيس، وغيرهم ممن كان يقدم مكة للسماع من الرسول صلى الله عليه وسلم.
وكان من مشيئة الله أن جعل من تلك الاتهامات والتحذيرات دعاية للدعوة "وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها" (التهذيب / 58).

4 - مرحلة التعذيب لفتنة المؤمنين:

ولما لم تفلح تلك المحاولات في صد الناس عن الإيمان بالدين الجديد، تواصى المشركون فيما بينهم بالتفنن في التعذيب لرد من آمن بمحمد عن دينه، وقد لخص كبيرهم أبو جهل مخططهم في ذلك: "وكان أبو جهل الفاسق.. إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك، ولنفيِّلَنَّ رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به" (التهذيب / 71، 72).
وبدأت مرحلة التعذيب الرهيب كفعل أبى جهل بآل ياسر، وأمية بن خلف ببلال، ويكفي في تصوير شدة هذا التعذيب ما يرويه سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم، افتداء منهم مما يبلغون مـن جهـده" (التهذيب / 72).
ولقد أصاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تلك المرحلة شيء من الأذى، كالذي فعله به عقبة بن أبى معيط حين وضع سلا جزور على رأسه وهو ساجد، وعندما اجتمع عليه المشركون حول الكعبة ففرقهم أبو بكر عنه.
والحقيقة أن التعذيب لم ينته عند مرحلة معينة، بل استمر طويلاً، إلا أن الهدف منه في المرحلة الأولى والدعوة في طفولتها كان المحاولة في رد الأتباع القلائل عن دينهم، وتخويف غيرهم من الدخول في الدين، لكن بعد أن قويت شوكة الدعوة كان التعذيب لمجرد الانتقام، ولتنفيس الغيظ والحنق الذي في نفوس المشركين، أو للأخذ بشيء من ثاراتهم من المسلمين، ومن ذلك ما فعله المشركون بخبيب حين صلبوه.
ولابد لنا هنا من وقفة عند أثر هذه المرحلة على أتباع الدعوة، وعلى سير الدعوة نفسها:

- أخرجت تلك الابتلاءات نماذج عظيمة في الثبات على دين الله، والتضحية في سبيل العقيدة.
- وكان فيها تربية صلبة للأصحاب أعدتهم رجالاً لتلك الدعوة، فوق ما ارتفعت به درجاتهم عند الله.
- وزادت من الترابط بين أتباع الدين الجديد.
- وأدت إلى شيء من تعاطف العامة من المشركين مع هؤلاء المستضعفين.
وهذه وغيرها مكاسب عظيمة للدعوة، كان الابتلاء سبباً مباشراً لها.
ووقفة أخرى مع موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو يرى أتباعه يعذبون:
لقد أصاب رسول الله أذى من المشركين، لكنهم لم يكونوا ليبلغوا منه شيئاً كثيراً لمكانة عشيرته بينهم، ولكن عديداً من أصحابه واجه فتنة لا طاقة لكثير من البشر بها، فماذا كان موقف الرسول من ذلك ؟.
لقد أبدى الرسول تعاطفاً شديداً وشفقة حانية على أتباعه من المعذبين، فكان يمر بآل ياسر، ويثبتهم على مصابهم، ويعدهم الجنة، وكذلك كان حال المسلمين ممن لم يصبهم الأذى، فهذا أبو بكر ينفق ماله على إعتاق المعذبين من الرقيق.
ولم ينته دور الرسول عند التعاطف والإشفاق، بل كان يبحث عن كل ما من شأنه أن يخفف المصاب عن أتباعه من حلول عملية.
فكان يأمر من أسلم من الضعفاء أو ممن يخشى عليه الفتنة أن يكتم إسلامه عن أهله، ويأمر بعض من يأتيه من قبائل العرب مسلماً أن يعود إلى قبيلته لأنه لا سند له بمكة.
ولما علم أن في الحبشة ملكاً لا يظلم أمرهم بالهجرة إليه فراراً بدينهم.
إذن: كان الرسول يرفع من معنوياتهم، ويذكرهم بالأجر والثواب، ويؤكد نصر الله إياهم بعد حين، وفي نفس الوقت كان يبحث لهم عن حلول عملية تخفف من وقع الفتنة عليهم.
إن التعاطف والسعي لتخفيف وطأة التعذيب على المسلمين أمر مطلوب، وواجب على القيادة المسلمة تجاه أتباعها، أما التخلي عن شيء من المنهج، ولا أقول الأسلوب والسياسة، تفادياً للمواجهة، واتقاءً لبطش الجاهليين، فأمر لا يرضاه الله، وقد عصم منه رسوله، وللأسف فقد سقط في هذا المزلق بعض المخلصين بدافع إخلاصهم وشفقتهم على إخوانهم.
إن الإسلام وهو دين الرحمة قد جعل للأفراد رُخَصاً يجيز لهم الأخذ بها وقت الشدائد تصل إلى التلفظ بكلمة الكفر، ولكن لا يجوز لأحد مهما بلغت به الفتنة أن يهادن في دين الله أو يحرف في منهجه.

إن بعض المخلصين، وقد أحزنهم وشق عليهم ما نزل ببعض إخوانهم، وقد بدءوا يبدون التميع، ويبدون التفاوض مع الجاهلية، بمبادئهم لتخفيف الوطأة على إخوانهم.
وبدأوا ينطلقون من منطلق "كفانا أشلاء ودماء" وبدأ منهجهم يتكيف مع هذا المنطلق في جوهره وليس في أسلوبه فقط. إن أشلاء إخواننا ودماءهم غالية على كل مسلم غيور، ولكننا أيقنا أنها الثمن الذي أراده الله للنصر... وللجنة.
إن الدعوة التي اشتدت عليها الفتنة، فبدأت تغير من منهجها، ومرة أخرى لا أقول: من أسلوبها ؛ قد سقطت في الابتلاء الذي جعله الله سنة في الدعوات: ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)). ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم، مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)).
إن التربية التي ترسخ في النفوس أن الابتلاء سنة الله في الدعوات، مهمة جداً، مهمة للقادة حتى لا يسقطوا في الابتلاء، ويحرفوا المنهج تفادياً لهم، فيضلوا ويضلوا. مهم للأتباع حتى يثبتوا بتثبيت الله لهم عند الابتلاء، وحتى لا يتسبب ابتلاؤهم في صب جام غضبهم ولعنتهم على إخوانهم وعلى منهجهم لأنه بزعمهم السبب فيما وقعوا فيه.
إن أي مسلم غيور، لتذهب نفسه حزناً وهماً على ما يصيب إخوانه في العقيدة، وهو مطالب بأن يبذل وسعه في سبيل التخفيف عنهم، وإن كان ما نقدمه حقيقة قليل جداً، وذلك لتراكم الظلم من كل جهة، ولبخل بعضنا وقعودهم عن بذل كل إمكاناتهم وقدراتهم في سبيل نصرة إخوانهم، ولكن لا يجوز لنا أن يجرفنا الهم والحزن إلى التخلي عن شيء من منهجنا تفادياً للمواجهة، وفي موقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خباب رضي الله عنه وهو يأتيه شاكياً عند الكعبة تثبيت لتلك السنة في نفوس أصحابه بضرب المثل بما لاقاه أسلافهم من المؤمنين، ثم ثبته بتأكيد نصر الله لهم ولو بعد حين.. يقول خباب: »أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو مُحْمَرٌ وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله« (البخاري 7/164).
وكذلك خرج بأصحابه مثخناً بالجراحات يوم أُحد، وذهب منهم سبعون شهيداً من خيرة الصحابة، وهو عدد ليس بقليل في ذلك الوقت من عمر الدعوة، لقد كانوا عشر جيش المسلمين، فماذا كان من الرسول بعد هذا البلاء المبين ؟

يقول ابن إسحاق: "قدم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معهم نفرا من أصحابه" (التهذيب/194) ثم كان ما كان من هذيل في يوم الرجيع إذ قتل وفد رسول الله جميعهم، وكانوا ستة كما عدهم ابن إسحاق.
ثم ماذا ؟ ثم بعث رسول الله أصحاب بئر معونة على رأس أربعة أشهر من أحد (التهذيب/200) وقتل فيه أربعون صحابياً من خيار المسلمين غدراً وخيانة. بلاء على إثر بلاء، ولكن الدعوة مستمرة، والمنهج محفوظ، يختار الله من يشاء من المخلصين إلى جواره، وتبقى بقية القافلة في سيرها إلى الله كما أمرها الله.

5 - مطاردة الفارين بدينهم خارج الحدود:

"فلما رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم" (التهذيب / 72).
ولكن طغاة قريش لم يطب لهم العيش، وهم يرون أتباع الدعوة وقد أصابوا داراً وقراراً عند ملك الحبشة، فكان ما كان من مؤامرات حتى يخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها.
وكان من رحمة الله بعباده المؤمنين، ومن حمايته لدعوته وحفظه لها أن رد وفد قريش خائباً، وجعل للمسلمين من عدل النجاشي ملجأ، وإن لم يكن على دين الإسلام في بادىء الأمر. وهذه الصورة بكل جوانبها لا تزال تكرر نفسها. يضطهد المسلمون في أرضهم، فيفرون بدينهم منها، ويحاول الطغاة أن يتبعوهم بأذاهم حيث ما كانوا، فتدرك المؤمنين رحمة الله فييسر لهم من الأسباب ما يحفظهم من الأذى، ونحن نرى تلك الأسباب في الغالب يهيئها الله على أيدي كفار آخرين يملكون شيئاً من حرية الفكر واحترام الإنسان، فسبحان من ينصر دينه بالرجل الفاسق.

6- المفاوضات (الإغراءات) المادية:

ولما لم تفلح كل تلك المحاولات مرة أخرى في قتل الدعوة، أو حتى في إيقاف انتشارها الواسع، وعندما قوي أتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- واشتد أمرهم بإسلام حمزة وعمر وغيرهما، لجأ الطغاة إلى محاولات لإغراء الرسول بأمور الدنيا، كي يتنازل عن دعوته.

ومثال تلك المحاولات مفاوضة عتبة بن ربيعة أرسلته قريش مندوباً عنها ليعرض على الرسول الملك والجاه والمال كي يكف عن دعوته.
ولا تزال تلك الوسيلة تستخدم لشلِّ الدعوة وشراء الدعاة، فيتم بذلك احتواءهم وتسييرهم إلى الوجهة التي يراد لهم السير فيها، وكم من داعية لم يسقط بالترهيب والتهذيب سقط بالإغراء والترغيب.

7 - المفاوضات الدينية والسعي وراء التنازلات:

وتمثل تلك المرحلة أخبث وأخطر ما تفتق عنه تخطيط الطغاة ومكرهم. إن أهل الباطل ليس لهم منهج ثابت محدد يلتزمون به، وإنما يدورون مع مصالحهم حيث دارت، ومصلحتهم العظمى كما يرونها في عداء الحق والسعي لإطفاء نور الله، ومن هنا فإن أهل الباطل لا يجدون غضاضة ولا صعوبة في أن يعترفوا بشيء من الحق ويتفاوضوا مع أهله إذا كان في ذلك قضاء على الحق وأهله ولو بعد حين.
أما أهل الحق فموقفهم مختلف تماماً، إنهم لا ينطلقون من مصالح معينة، إن لهم منهجاً ثابتاً محدداً أنزله الله إليهم، وأمرهم باتباعه وحذرهم من مخالفته، وقضيتهم في جوهرها إنما هي استمساك بهذا المنهج الثابت ومحافظة عليه، والذب عنه حتى الموت.
ومن هنا فإنهم ليس لهم من الأمر شيء، ولا يملكون أن يتنازلوا عن شيء من هذا المنهج لأي هدف كان، إذ أن منهجهم هو قضيتهم، ومصلحتهم في العض عليه بالنواجذ، وتحقيق أي هدف في الحياة الدنيا، ولو بدا سامياً عند البعض لا يجوز أن يتم بالتنازل عن شيء من المنهج.
وتدبروا في موقف أهل الباطل من التنازلات ((وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)) إن لديهم الاستعداد للمداهنة، ولا مانع لديهم من التنازلات عن شيء من باطلهم في مقابل تنازل أهل الحق عن شيء من حقهم.
يقول ابن كثير في تفسير سورة الكافرون: "قيل إنهم (أي كفار قريش) من جهلهم دعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة فأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال: لا أعبد ما تعبدون".
إنه لا فرق البتة بين أن يعبد المشركون آلهتهم أبد الدهر، أو يعبدوها سنة ويعبدوا الله سنة بعدها، كله باطل، وما يضير المشركين أن يقدموا مثل هذا التنازل، وهم بذلك يكسبون الاعتراف الصريح من أهل الحق بشرعية ما عليه أهل الباطل.
ولكنه فرق أبعد مما بين السماء والأرض، بين أن يعبد المسلمون الله كل عام، أو يعبدوه عاماً ويعبدون آلهة المشركين عاماً بعده، إن الصورة الأولى هي الحق، والثانية باطل من جملة الباطل وشتان بين الحق والباطل.

وماذا يكسب المسلمون من مثل هذا التنازل ؟ اعتراف أهل الباطل بحق أهل الحق في الوجود ؟! وماذا يعني لو تم ذلك ؟ هل حققنا قضيتنا ؟ وكيف نحقق الكفر بالطاغوت وهو قرين الإيمان بالله ونحن نقدم مثل هذه التنازلات ؟.
وثبت الله رسوله أمام هذا الكيد الجديد ((وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)) وعلمنا الموقف الذي نقفه من هذا الكيد، وحذرنا من المداهنة في دين الله، بل جعل من أصول ديننا معاداة الكافرين وبغضهم والبراءة منهم، حتى يقطع كل سبيل إلى الجلوس معهم لتقريب وجهات النظر !!

8- المواجهة المسلحة:

ولما رد الله الذين كفروا بغيظهم في كل مناسبة، ورعى دعوته حتى شبَّت وقوي عودها، وأحس المشركون بخطر الدعوة على وجودهم، كانت المواجهات المسلحة ولابد أن تكون، فكانت بدر ثم أحد والخندق وغيرها من السرايا والغزوات، ثم كان يوم الفتح الأكبر، فتح مكة.
وصدق الله وعده للمؤمنين وهم بمكة يعذبون، أو وهم في الحبشة يطاردون، أنه ناصرهم على الكافرين.
هذه أبرز صور العداء التي واجهتها الدعوة الأولى، ولا يملك المسلم الذي يعيش في هذا العصر وهو يراجع تلك الصور إلا أن يتساءل ((أَتَوَاصَوْا بِهِ)).
إن المحاولات هي ذاتها، وإن أصبحت في كثير من الأحيان أعنف وأشد خطراً على الدعوة، لازدياد كيد العدو من جهة، ولضعف إيمان المسلمين من جهة أخرى.

خواطر في الدعوة

أيها الدعاة...
لا تفسدوا الأخوة

محمد العبدة

من أثمن ما يملكه المسلم في هذه الحـيـاة الدنيا بعد الصلة بالله عقد الأخوة الإيمانية الذي عقده مع من يحبهم في الله، وتعاهد مـعهم على العمل سوية في سبيل نصرة دين الله. هذا العقد من أقوى الأسباب لمجابهة الصـعـاب والـتـحـديـات، ولحل المشكلات التي تعترض الطريق، وبه يشعر المسلم أنه ليس وحيداً، فهناك من يشد أزره ويضع يده على يده، غير أن هذه الأخوة قد تعكر صفوها هنات وهزات، هي صـغـيـرة ولكـنـهـا تكبر مع الأيام ويكبر أثرها، فتنفر القلوب، وتقع الوحشة وهذا مزلق خطير يجب على الأخ الـمـسـلـم تجـنـبـه فخسارة أخ لا يعوضها أي شيء.

إن كثرة العتاب وكثرة المماراة والجدل، خاصة إذا شابها نية إظهار التميز وفضل العقل، بـل وكـثـرة الـمزاح ؛ من الأشياء التي تؤدي إلى الوحشة، قال أصحاب طب القلوب: "إذا قصَّر الأخ فـي حـق أخيه فالواجب الاحتمال والعفو والصفح إلا إن كان بحيث يؤدي استمراره إلى القطيعة فالـعـتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكل".

إن الأخوة التي نحرص علـيـهــا كل الحرص، ونعض عليها بالنواجذ خاصة في مثل هذه الأيام والظروف التي تمر بالمسلمين لها حقوق إذا قمنا بها فلعلها تستمر وتقوى، ومن هذه الـحـقــوق التفقد لأحواله والسؤال عن حاجاته، قبل أن يضطر إلى طلب المساعدة والعون، فـهــذا هـــو الألـيـق، وهذا هو الذي يفرحه ويسره، فإذا نسيت وسألك حاجته فبادر إلى قـضـائـهـــا، وإذا لم تفعل هذا فكبّر على هذه الأخوة، ومنها: الوفاء والثبات عليها، فلا يـذكـره إلا بخـيـر، ويـحـفـظ غـيـبته، فلا يعرض به أمام الآخرين بأسلوب ظاهره الشفقة والنصح وباطنه الغيبة المحضة، بل يجب عليه استحضار محاسن أخيه وحفظه في أسراره فلا يبثها للآخرين، وبذلك لا يدع للشيطان مدخلاً : ((قُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ)).

ومـن حـقـوقـهـا: تـرك الـتـكـلف حتى لا يشعر الأخ أنه غريب عن أخيه، ولا يلجئه إلى الاعـتـذار دائـمــاً، بـسـبـب هـفـوة صغيرة، وكلمة عابرة، ويحاسبه على النقير والقطمير، وليتذكر قول الشاعر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟

والأخوة الإيمانية أكبر من هذا، فإذا أفسدتها ما نحن فيه من أنانية وضيق أفق، وانشغال بصغائر الأمور أحياناً، فيجب أن نعترف أنه ليس هاهنا أخوة، بل كلمات خطابية جوفاء لا تـسـمـن ولا تـغـني من جوع، وما نحن فيه إنما هو مخالطة رسمية، وصورة مشوهة عن أخلاق المسلمين الأوائل، ومجاملات ليس لها أثر في العقل والدين.

في إشراقة أية

((كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ))

د. عبد الكريم بكار

يشكل انهيار العلاقات الاجـتـمـاعـيـة إحــدى أهم المشكلات التي تعانى منها المجتمعات الحديثة حيث نما الشعور بالفردية والـتـوحد، وحُكمت المصالح الخاصة في كثير من شئون الحياة، وقد أصاب أمة الإسلام شيء من ذلك، فاضمحلت ضوابط التربية الاجتماعية التي تشكل الحس الجماعي لدى الفرد المسلم ممـا أشــاع الفوضى الفكرية والاجتماعية، وضخم مشاكل المسلمين

الاقتصادية لأن عمليات التنمية لا تـتـم عـلـى مــا ينبغي في مجتمع واهي الروابط مختلف الأفكار والمفاهيم.
ومن هنا شددت تعاليم الإسلام على ضرورة المحافظة على العلاقــات الاجتماعية وإقامتها باستمرار على هدي الرسالة الخاتمة التي تعد استمراراً لدعوات الأنـبـيـاء عـلـيهم الصلاة والسلام.
وتحقيقاً لذلك التواصل قصَّ الله تعالى علينا أخبار الأمم السابقة والعواقب الوخـيـمـة التي انتهــوا إليها حين شاعت فيهم الانحرافات والمخالفات دون أن يرفع أحد منهم رأســاً أو يقول كـلـمـة لأولـئـك الذين يستعجلون أيام الله لأنفسهم ولأممهم فقال تعالى: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) [المائدة:78-79].
فقد أجرم القوم مرتين: مرة حين وقعوا في الآثام، وأخرى حين تركوا المعاصي تشيع فيهم دون أن تسود فيهم روح التناهي عنها.
وقد جاء فـي الحـديث ما يفسر تدرجهم نحو الحال التي استوجبت لهم اللعن، فقد روى ابن مسعود عن رســول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: »إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كــان الـرجـل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال:((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا..))«(1)
لقد طال العهد بصالحي بني إسـرائـيـل فـبـدأت المناكر تزحف إلى حياتهم عن طريق أهل الأهواء والشهوات، وكان فيهم صالحون فـقـامـــوا ونهوا أصحاب المعاصي ووعظوهم ولكن هؤلاء تأصل فيهم المنكر وصار النزوع عنه أمراً عــسـيراً، وكان الأمر يتطلب من صالحيهم جلداً وصبراً ومفاصلة إلا أن درجة التوتر الحيوي عـنـد أولـئـــك الصالحين لم تكن كافية بحيث يشعرون بالتميز ويشكلون تياراً نشطاً يحاصر أولــئــك الـعـصـــاة ويشعرهم بالشذوذ والإثم...
وكانت المرحلة التالية سيطرة شعور العجز والضعف على أولئك الـصـالـحـيـن مـمـا جعلهم يـخـالـطــون أهل المعاصي ويرضون عن أعمالهم أو يظهر للناظر أنهم كذلك فضاعت معالم الـحـق وجـــاءت أجيال تالية فنشأت في الانحراف وشبت فيه وصار التفريق بين المعروف والمنكر أمراً غير متيسر لكل الناس.
وكانت العاقبة أن ضرب الله قلوبهم بعضهاً ببعض، وهذه العبارة في الحديث النبوي ترمز إلى حالة من الفوضى المصحوبة بالعذاب حيث فقدت تجمعاتهم الشروط الضرورية لبقائهم واستمرارهم المادي والمعنوي فكانت أيام الله في خاتمة المطاف جزاء ما فعلوا.

إن كل مـجـتـمع مهما بلغ من الـفـضل والرقي لا يستغنى عن شريحة فيه تتمثل فيها المثل العليا لذلك المجـتـمـع تـحـفــظ عـلـيه وجوده المعنوي المتمثل في عقيدته وأخلاقه وضوابط علاقاته وهؤلاء يمثلون الخيرية في ذلك المجتمع كما قال عليه الصلاة والسلام: »ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بـسـنـتـه ويـقـتــدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون...« [رواه مسلم].
إن هؤلاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر يملكون من التوهج في أرواحهم والحيويــة في نفوسهم ما يجعل همَّ مجتمعهم همهم الأكبر، فيسعد بهم ذلك المجتمع إذ يحفظون علـيه توازنه واستقامته وشروط استمراره، وكما لا يشترط لصحة المجتمع جسمياً وبيئياً أن يكون كل أفراده من الأطباء كذلك لا يشترط في المجتمع المسلم أن يكون كل أفراده من الدعــــاة الناصحين ولكن ينبغي أن تتوفر نسبة كافية في المجتمع مسموعة الصوت واضحة الـتـأثـير تملأ الفراغ الثقافي وتملك من الوسائل المؤثرة ما يسمح باستمرار وضوح جادة الحق والخـير والصواب ويسمح باستمرار سنة المدافعة بين الحق والباطل على وجه مكافىء وهذا ما يشير إلـيه قوله عز اسمه: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَــــنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)) [آل عمران:104].
وقــد جـــــرتِ سـنة الله في الابتلاء أن تلقى هذه الفئة الطيبة الخيرة المُحَارَبة دائماً وتلقى الأذية والعنت ومــــا ذلك إلا لأنها تسير في الاتجاه المضاد لأهل الشهوات والأهواء الذين يمـكـن أن نسميهم بـ (المختزلة) حيث يكثفون هموم البشرية كلها في هم واحد هو همهم، ويتجاوزون رغبات الخلق ومصالحهم مهما عظمت إلى رغباتهم ومصالحهم هم، وعلى كل حال فإن الذي يظن أنه باستطاعته أن يسير في دروب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقوماً للـمـعــوج ومحارباً للأهواء والشهوات وناصراً للمظلوم ثم لا يلحقه شيء مما لحق بهم فهو واهــــم فــي ذلك وإلى هذا أشار لقمان وهو يعظ ابنه حين قال: ((يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) [لقمان:17] فقد أشعر ابنه بما يلحقه من الأذية إذا هو قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ولكن نــظـــراً للأخطار التي تهدد الأمة بخلوِّها من هذه الشريحة المباركة التي تعد قلبها النابض وبصيرتها النافذة فإن الله تعالى قرن محاربة هذه الفئة بالكفر به وقتل رسله حيث قـــال جلَّ وعــلا: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُـــرُونَ بِـالْقِـسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ)) [آل عمران:21-22].

واليوم والأمة تسعى جاهدة إلى الخروج من نفق الظلمات نافضة عنها غبار الضعف والفرقة والتبعية والتخـلــف ؛ تكثر المشاريع الحضارية المطروحة في البلاد الإسلامية من قبل أهل العلم والفكر، كما يـكـثر الضرب في الأرض لدراسة التجارب الحضارية الحديثة والمعاصرة للأمم الأخرى، والنتيجة الملموسة إلى هذه الساعة من وراء كل ذلك سلبية والسبب في ذلك - والله أعلم - أننا نأتي البيوت من غير أبوابها ذلك لأن التخلف المادي الذي يعاني منه المسلمون ليس هو المرض ولـكـنـــه من أعراض المرض، والمعالجة الصحيحة تكون بتفحص المرض وأسبابه وجـذوره فـــإذا عالجنا المرض ذهبت كل أعراضه، أما المرض فهو كامن في الخلل الذي أصاب رؤية المسلمين للدنيا والآخرة، والخلل الذي أصاب أخلاقهم ومقاصدهم وعلاقاتهم ببعضهم بعضاً، مما ترتب عليه مفاسد جمة قعدت بالسواد الأعجم من المسلمين عن أن يكونوا لَبِنَاتٍ صالحة في أي بناء حـضــاري فذٍ متميز، وغاب عنا روح الفريق حين التفت كلٌّ إلى مصلحته الخاصة ضـــاربـــاً عرض الحائط بكل شيء وراءها. ولابد من وقفة متأنية عند هذه النقطة نظراً لخطورتها وكثرة المشكلات الناشئة عنها.

إن كثيراً من مجتمعات المسلمين اليوم لا يتوفر فيه ما يجعله صالحاً لإطلاق اسم (مجتمع) عليه لأن التفلت من الواجبات الشرعية والوقوع في المحظورات - والتي في مجملها تشكل الحس الجماعي عند المسلمين- يجعل صفة الفردية طاغية على هذه التجمعات وإن بدت حسب الظاهر في صورة مجتمعات منظمة متحدة..

إن المجتمع - كما يقول مالك بن نبي - الذي يعمل فيه كل فرد ما يحلو له ليس مجتمعاً ولكنه إما مجتمع في بداية تكونه وإما مجتمع بدأ حركة الانسحاب من التاريخ فهو بقية مجتمع.

والـــيـــهـــود حين أرادوا تدمير المجتمعات الغربية خططوا لتضخيم جانب الفردية على حساب الحس الجماعي حتى كثرت القضايا التي يعدها العرف هناك خصوصيات تخضع بمزاج الفرد ومصلحته، وكانت النتيجة التي انتهوا إليها تفكك تلك المجتمعات على نحو مخيف ذهب بأمن الحياة وروائها وسيعصف بكل الجهود العزيزة التي بذلت في بناء الحضارة الحديثة في يوم من الأيام.

وقد انتقلت هذه العدوى إلى بلاد المسلمين فصار كثير من المسلمين غير مستعد لقبول نصيحة من أحد بحجة أن ما يلاحظ عليه يعود إلى خصوصياته التي لا تقبل أي نوع من التدخل. وهذا الصنف من الناس - وهو يمثل اليوم في المسلمين الأكثرية - على غير دراية بفلسفة هذا الدين في إقامة المجتمعات وإنشاء الحضارات مما يجعل رؤيتهم للحياة كثوب ضم سبعين رقعة مختلفة الأشكال والألوان.

وبإمكان المسلم من خلال نظرة سريعة في بعض النصوص أن يتعرف وجهة الشريعة في هذا، وإليك حديث السفينة الذي وضع النقاط على الحروف في هذه المسألة بصورة مدهشة، فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:»مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم. فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً« [رواه البخاري].
إن هذه السفينة تمثل المجتمع الإسلامي الذي توحدت عقائده وتوحد اتجاه سيره وتوحدت غاياته والمخاطر والتحديات التي تواجهه، وإن القائم في حدود الله تعالى هو تلك الفئة الصالحة الملتزمة بشرع الله الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، وإن الواقعين فيها هم أولئك الذين ينتهكون حرمات الله من ترك الواجبات والوقوع في المحرمات، والحديث يقرر أن ما يتوهمه بعض الناس من خصوصياته ليس كذلك كما أن الذين احتلوا أسفل السفينة كانوا واهمين قي ظنهم أن لهم الحرية الكاملة في التصرف في أرض السفينة.
وذلك لأن تصرفهم فيها بخرقها يمس مصالح الذين فوقهم بل مصائرهم.
ولنضرب لما يتوهمه بعض الناس من خصوصياتهم مثلاً من حياتنا المعاشة حيث وقع في خلد كثير من الناس أن الصلاة عبادة بدنية تعبر عن صلة خاصة بين العبد وربه، وأن المقصر في أدائها لا يؤذي جاراً ولا ينتهك لمجتمعه حرمة، وبذا تكون الصلاة من المسائل الخاصة بالمرء، يؤديها كلما حلا له ذلك، ويتركها كلما عنَّ له ذلك، ومن ثَمَّ فإن مساءلة الناس له عنها يعد ضرباً من الفضول الذي ينفر منه ذوق الإنسان المعاصر ذي الإحساس المرهف والرسوم الاجتماعية الدقيقة.
ولكن الأمر في نظر الشريعة الغراء ليس كذلك إذ إن فقهاء الأمة مجمعون على أن الصلاة ليست من خصوصيات الإنسان التي يقف المجتمع المسلم تجاه تاركها صامتاً غير مبال ولا مؤاخذ، لذلك رأى بعض الفقهاء أن تاركها (كسلاً) مقراً بفرضيتها يقتل كفراً، وبعضهم قال يقتل حداً، وبعضهم ذهب إلى أنه يسجن إلى أن يصلي، وهم في هذا يصدرون عن فهم صحيح لطبيعة عمل هذا الدين في تسيير دفة الحياة الاجتماعية، لأن المعصية حين تشيع في الناس يستوجبون نزول العقوبة وذهاب الريح، ولا تشيع الفاحشة إلا حين يغض المجتمع الطرف عنها وطالما أجهض الجهد الإنساني الضخم في إعمار الأرض بسبب التقصير في جانب العبودية لله تبارك وتعالى وشواهد الماضي والحاضر ناطقة بذلك، وكيف لا والله تعالى يقول: ((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ)) [الأنفال / 50]. وكيف لا

والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول مجيباً لمن سأله: أنهلك وفينا الصالحون ؟: »نعم إذا كثر الخبث« [أخرجه الشيخان].
نعم إن الأمن حين يضطرب حبله لا يضطرب على الطالحين وحدهم، وإن الأسعار حين تغلو لتفوق طاقة الناس لا ترتفع بالنسبة للطالحين فقط، وإن العدو حين يستبيح الحمى لا يستثنى أحداً وهكذا...
وإذا كان أصحاب الأهواء والشهوات لا يبصرون أكثر من مواقع أقدامهم ولا يعبأون بحاضر ولا مستقبل فإن على المجتمع أن يتحمل المسؤولية تجاه حاضره ومستقبله وآخرته.

الهوامش:

1 - أخرجه الترمذي وحسنه.

ملاحظات على الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

إن دراسة المذاهب والفرق سواءً كانت إسلامية أو غير إسلامية، قديماً أو حديثاً، من الأهمية والخطورة بمكان، خاصةً في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه فرق الضلال، ونِحَل الابتداع فتعددت السبل، وكثرت المشتبهات، ولعل هذا يؤكد ضرورة الدراسة الجادة لهذه الفرق والنحل، ورضي الله عن عمر بن الخطاب الذي كان يقول:
"إنما تنقض عُرى الإسلام عروةً عروةً، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية". وكان حذيفة بن اليمان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني".
ويأتي كتاب (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) والذي أصدرته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض (*)، يأتي هذا الكتاب كخطوة إيجابية في مجال البناء العلمي للشخصية الإسلامية الأصيلة، ولعله يسد ثغرة كبيرة في دراسة الواقع المعاصر، فشكر الله للقائمين على هذه الموسوعة، ونفع الله بجهودهم.
لقد تضمنت هذه الموسوعة (في طبعتها الأولى سنة 1409) دراسة ثمانية وخمسين مذهباً، وكانت مرتبة على حسب الحروف الهجائية، وكان المنهج الذي سارت عليه دراسة كل فرقة أو دين على النحو التالي:

1- التعريف.
2 - التأسيس وأبرز الشخصيات.
3 - الأفكار والمعتقدات.

4 - الجذور الفكرية والعقائدية.
5 - الانتشار ومواقع النفوذ.
6 -- مراجع للتوسع.
وقد لاقت هذه "الموسوعة" - فيما أعلم - رواجاً وانتشاراً في الأوساط الإسلامية، نظراً للحاجة الملحة لدراسة مثل هذه الموضوعات ولما تضمنته هذه الموسوعة من مادة علمية جيدة، تم عرضها بأسلوب ميسر وموجز.
ومن باب النصيحة، والاستجابة لطلب القائمين على هذه الموسوعة - كما ذكروا في مقدمة الموسوعة - أحب أن أبدي بعض الآراء والملاحظات راجياً من الله أن تنشرح لها صدور أصحاب هذه الموسوعة، وأن يرزق الجميع حسن القصد واتباع الحق.

أ - ملاحظات عامة:

1 - تضم الموسوعة كما زاخراً من الأديان والفرق الإسلامية وغير الإسلامية، والمذاهب الفكرية والحركات الإصلاحية.. وقد رتبت حسب حروف المعجم.. والذي يظهر لي أن هذا الترتيب غير كاف.. وأنه لابد من ترتيب آخر حسب حقيقة هذه المذاهب وأفكارها.. فمثلًا يجعل قسم خاص للأديان، وقسم آخر للفرق الإسلامية، وثالث للحركات الإصلاحية.. وهكذا.
2 - جاء في مقدمة الموسوعة (ص 9) أن دراسة هذه المذاهب مبني على الموضوعية والإنصاف.. لكن الالتزام بالموضوعية لا ينافي النقد والمناقشة التي تنطلق من باب إيضاح الحق وتصحيح الأخطاء، ومن ثم فلابد من نقد هذه المذاهب ومناقشتها ولو على سبيل الإيجاز والاختصار، فأرى ضرورة إضافة نقطة هامة في منهج دراسة هذه المذاهب وهي بعنوان التقويم أو النقد لذلك المذهب (1).
3-هناك بعض المصطلحات التي لابد من تحديدها وتعريفها لغة واصطلاحاً مثل كلمة الدين، والمذهب، والملة، والنحلة..
4 - عرفت الموسوعة بالكثير من المذاهب والفرق.. ولكنها لم توضح ابتداء أصحاب المنهج الإسلامي الأصيل، وهم - بلا شك - أهل السنة والجماعة.. فكان من المناسب جداً بيان منهج أهل السنة، وذكر خصائصهم وصفاتهم، وتوضيح منهجهم في التلقي والعقيدة والسلوك وغيرها.. ولاشك أن في هذا تعريفاً بالمنهج الأصيل ودعوة إليه.. كما أن فيه تحديداً للمنطلق الصحيح في تقويم المذاهب الأخرى، وأما ما تضمنته الموسوعة من حركات إصلاحية سلفية كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله، فهي بمثابة التجديد لمذهب أهل السنة.
ولعل أصحاب الموسوعة يتنبهون لهذا، خاصة إذا علمنا أن أول أهداف الندوة العالمية هو: خدمة الفكر الإسلامي الصحيح على أساس من التوحيد الخالص.

5 - جاء في مقدمة الموسوعة أنها توخت الحركات التي لها وجود واقعي ملموس في عالم اليوم.. لكن - وكما هو معلوم - أن الأفكار لا تموت، ولكل قوم وارث، فالمعتزلة مثلاً لم تذكر ضمن الموسوعة.. ومع ذلك فإن فكر المعتزلة لا يزال قائماً موجوداً (2)، وكذلك نجد الموسوعة لا تذكر الخوارج باستثناء الإباضية، مع أن فكر الخوارج الغالي لا يزال موجوداً، وما خبر جماعة شكري مصطفي في مصر عنا ببعيد (3)، بل إن فكر الجبرية (القائلين بأن الإنسان مجبور على فعله فلا اختيار له) وكذلك فكر القدرية النفاة (القائلين بأن الإنسان يخلق فعل نفسه) لا يزال موجوداً وظاهراً (4)، وأيضاً فمذهب المرجئة له رواج وانتشار، زاد من امتداده تهاون المسلمين، وضعف تمسكهم بشعائر دينهم، وانتشار التصوف، ووجود المؤسسات التعليمية التي تقرر مذهب الأشاعرة - وهم مرجئة في باب الإيمان - وغير ذلك من الأسباب.
والأعجب من هذا كله أن أصحاب الموسوعة لم يتحدثوا عن مذهب الأشاعرة والماتريدية !! ولا أظن عارفاً مهماً قلت معرفته وثقافته يجهل وجود وانتشار المذهب الأشعري والماتريدي، ومن ثم فلا يتصور أن مذاهب الأشاعرة والماتريدية "قد اندثرت، وعفى عليها الزمن، وتجاوزتها ذاكرة التاريخ" (5)، فهاهم الأشاعرة والماتريدية بكتبهم وعلمائهم ومفكريهم ومؤسساتهم التعليمية وغيرها قد ملأوا واقعاً كبيراً يراه كل صاحب عينين.
6 -- عند ذكر "مراجع للتوسع".. لاحظت على الموسوعة في دراستها لكثير من المذاهب والأديان، أنها لا تميز بين المراجع المقررة والمؤيدة لمذهب ما (6) وبين المراجع الناقدة لذلك المذهب، وبين المراجع التي تعرض ذلك المذهب دون نقد أو تأييد، فحبذا لو يراعى هذا الأمر.. كما يلاحظ عدم ذكر مراجع مهمة ومستوفية، مع أنها مطبوعة ومنتشرة.. وفي نفس الوقت تذكر بعض الجرائد والمجلات غير المتخصصة ضمن مراجع للتوسع.
7 - أقترح تعديلاً طفيفاً على عنوان الموسوعة وذلك بإضافة "الحركات" فيكون العنوان كالتالي: "الموسوعة الميسرة في الأديان والحركات والمذاهب المعاصرة".
والداعي لهذا الاقتراح وجود بعض الحركات الإصلاحية في الموسوعة كحركة الإخوان، والجماعة الإسلامية في الهند والباكستان وهي بلا شك ليست أدياناً جديدة، ولا مذاهب فكرية مستقلة. وأيضاً يمكن إضافة بعض الحركات الأخرى المستقلة كالجبهة الإسلامية القومية في السودان، وكحركة الاتجاه الإسلامي في تونس فلهذه الحركات المحلية ما يميزها عن غيرها مما يعطى مبرراً للتعريف بها. ومن الحركات أيضاً حركة الجهاد، وجماعة أنصار السنة وأهل الحديث.
وهناك بعض المنظمات الهامة كمنظمة التحرير الفلسطينية، وحركة أمل الشيعية، والجبهة الشعبية الأريترية، والجبهة الشعبية لتحرير السودان.. الخ.

بل يمكن أن يقال: ما المانع من التعريف ببعض الأحزاب المحلية المختلفة، كالحزب الجمهوري، والحزب الديمقراطي، وحزب الليكود، وحزب العمل، والحزب الشيوعي المصري والتونسي... الخ.
فكرة الموسوعة - فيما يشر لي - لا تمنع من التعريف بما ذكرت، لاسيما مع الوجود الواقعي المؤثر لتلك الحركات أو الأحزاب والمنظمات، ومع الأهمية القصوى للتعريف بها وبأهدافها.
8 - هناك بعض التداخل والتشابه والترابط بين بعض المذاهب والاتجاهات كأن يكون هذا المذهب فرعاً عن آخر أو جزءاً منه، فعند ذلك لا داعي للفصل بينهما، وإليك بيان ذلك:
أ - الإسماعيلية، الحشاشون، الدروز، القرامطة، النصيرية: فكل هذه المذاهب تدخل تحت الباطنية فمن الأفضل وضعها في مكان واحد تحت عنوان الباطنية ثم التحدث عن كل واحدة حسب ما هو موجود في الموسوعة، ويدخل تحت الباطنية ويحتاج إلى كلام مستقل البهرة والآغاخانية... الخ.
ب - الصوفية، التيجانية: فالتيجانية تدخل تحت مسمى الصوفية فمن الأفضل وضع الصوفية ثم الكلام عن الطرق الصوفية في مكان واحد كالقادرية والرفاعية والنقشبندية والتيجانية وغيرها.
ج - التغريب، العلمانية: لا فرق بينهما فالعلمانية أصل نشأتها في الغرب ومن يحاول نشرها في البلاد الإسلامية يسمى من دعاة التغريب أو العلمانية، فكل داعية للتغريب هو داعية للعلمانية، والعكس صحيح.
د - النصرانية، التنصير، المارونية: فكل ذلك يمكن أن يدخل تحت مسمى النصرانية، ثم يشار إلى مذاهب النصرانية كالمارونية والكاثوليك والبروتستانت.. الخ.
والتنصير هو الدعوة إلى النصرانية.
هـ - الماسونية، الروتاري، الليونز: فمن المعلوم أن الروتاري والليونز من مراكز الدعوة إلى الماسونية فلا داعي للفصل بينهما.
و - اليهودية، الصهيونية، يهود الدونمة.
ز - القومية العربية، البعث العربي الاشتراكي.

ب- ملاحظات جزئية:

1 - ص 16 / س 9 - 16 عند ذكر معتقد الإباضية في أسماء الله وصفاته يلاحظ على الموسوعة أنها عرضت توحيد الإباضية بعبارة توهم الموافقة والتأييد !! مع أن من المعلوم أن للإباضية تعطيلاً في باب الصفات(7).
2 - ص 17 / س 12 ذكـرت الـموسوعة معتـقد الإبـاضية في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا، ولكنها لم تذكر معتقدهم في الحكم على العاصي في الآخرة.. وهم يعتقدون تخليـده في النار (8) - موافقة لبقية الخوارج والوعيدية عموماً - كما أن الموسوعة ذكرت معتقد أهل السنة في هذه المسألة بشيء

من القصور (انظر الموسوعة ص 17 / س 14، 15) فأهل الكبائر تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبهم بعدله، وإن شاء غفر لهم برحمته، فليس جميع العصاة يدخلون في النار تطهيراً كما هو في الموسوعة.
3 - ص 18، عـند ذكر الـجذور العقائدية والإباضية قالت الموسوعة "الإباضيون يعتمدون على القرآن والسنة" فأقول: هل هم بالفعل يعتمدون على نصوص الوحيين.. وما معنى هذا "الاعتماد".. فكلٌّ يدعي وصلاً بليلى.. ولا أدري لمَ لمْ تذكر الموسوعة مسند الإباضية (المقدس) أعني مسند الربيع بن حبيب، الذي يعتبرونه أصح كتاب بعد القرآن، كان الأجدر التعريف بهذا المسند "المنحول" وتقويمه.
4 - ص 73 / س 10: جاء في الموسوعة: "تصنف هذه الفرقة [البريلوية] من حيث الأصل ضمن جماعة السنة الملتزمين بالمذهب الحنفي !! ويبدو أن هذا التصنيف يحتاج إلى إعادة نظر.. فهل يقال عن البريلوية أنهم من جماعة السنة ولهم من الاعتقادات الباطلة ما قد يخرجهم عن الملة فضلاً عن السنة ؟ (9).
5 - ص 26 / س 16: تقول الموسوعة عن التيجانيين: "من حيث الأصل هم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى" فأقول: صدق الله حيث يقول: ((وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ)) [يوسف:106]
فكيف يقال عن التيجانيين أنهم مؤمنون بالله وبإطلاق مع اعتقادهم بوحدة الوجود.. ودعوى علم الغيب وتفضيل صلاة الفاتح على كتاب الله؟
6 -- ص 136 / س 15: تقول الموسوعة عن حزب التحرير:"لا تخرج دعوتهم عن أن تكون واحدة من الجماعات الإسلامية التي تحمل فكر أهل السنة والجماعة".
لا أدري ما هذا الفكر السلفي الذي يحمله هذا الحزب المتحرر مع شناعة أخطائهم وعظم انحرافهم(10)؟ نسأل الله عز وجل الهداية للجميع.
7 - ص 257 / س 11: تقول الموسوعة عن الزيدية بأنها:"تتصف بالاعتدال والقصد" فأقول: هل يمكن أن توصف الزيدية بالاعتدال والقصد.. وأصول الزيدية هي أصول المعتزلة الخمسة ؟ فأين الاعتدال والقصد ممن يعطل الصفات الإلهية، وينفي القدر ؟ ويحكم على العاصي من عصاة الموحدين بالتخليد في النار ؟
8 - ص 257 / س 18،س 23: بالنسبة لدعوى أن زيد بن علي تتلمذ على واصل بن عطاء.. هناك من ينفي هذا التتلمذ وينكره (11)، وأيضاً ذكرت الموسوعة أن من تأليف زيد بن علي كتاب (المجموع) مع أن هناك قول قوي بعدم ثبوت نسبة (المجموع) إلى زيد(12).
9 - ص 259 / س 23: جاء في الموسوعة عن الزيدية بأنهم: "يميلون إلى الاعتزال.. والجبر والاختيار" فكيف يجتمعان ؟ جبر واختيار ! مع أن الزيدية

يغلب عليها نفي القدر تأثراً بالمعتزلة، وفي نفس الصفحة / س 23 - 25 في هذه السطور خلط بين رأي زيد، وبين رأي الزيدية عموماً.. فإن زيداً يقول بأن العاصي لا يخلد في النار، بينما الزيدية تقول بتخليده كالوعيدية.
10 - ص 274: ذكرتم بعض تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأنصار دعوته.. وهناك من تلاميذ الشيخ وأنصار دعوته ممن لهم نتاج علمي ظاهر، وآثار علمية بارزة ومع ذلك لم يذكروا مثل الشيخ حمد بن معمر، وعبد الله أبي بطين، وسليمان بن سحمان، ونحوهم، ومن أنصار دعوته خارج الجزيرة: محمد بشير السهسواني، ومحمود الآلوسي، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم.
11 - ص 278 عند الحديث عن انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وأرى أن الموسوعة يمكن أن تعطي أكثر تفصيلاً عن آثار هذه الدعوة دون سطور مقتضبة.. ولعلها تعيد النظر في ذلك فتوضح آثار هذه الدعوة السلفية علماً وعملاً في واقع الأمة الإسلامية، وقد ذكرتم أن هذه الدعوة السلفية أثرت على المهدية والسنوسية والأفغاني (!) ومحمد عبده، فهل على ما ذكرتم دليل وبينة ؟
12 - ص 299، جاء في الموسوعة عند تعريف الشيعة الاثنى عشرية "هم تلك الفرقة من المسلمين الذين تمسكوا بحق على في وراثة الخلافة".
هذا كلام مجمل وفيه غموض، وتشم منه رائحة المداراة، كان ينبغي أن تذكر أصول عقيدة هؤلاء التي من أنكر واحداً منها اعتبر كافراً، وكذلك رأيهم في مخالفيهم الرئيسيين: أهل السنة، ورأيهم كذلك في القرآن، والصحابة.
وتعريف الشيعة الإخبارية والأصولية والفرق بينهما.
13 - ص 352 / السطر الأخير وما قبله: حيث تقول الموسوعة: "لقد عملت الطرق الصوفية على نشر الإسلام في كثير من الأماكن" ثم تقول الموسوعة: "لقد اعتمد الحكام على أقطاب الصوفية في التعبئة الروحية للجهاد ولصد غارات الكفار، ومن هؤلاء الأقطاب أحمد البدوي".
وأقول: إن التصوف أعظم معول هدم وتخدير ينخر في جسد الأمة الإسلامية.. بل ربما كانت سبيلاً للصد عن سبيل الله.. وأيضاً متى كانت الصوفية "تعبئة روحية للجهاد" ؟ لقد كان منهم من يخذل من شأن الجهاد ويكتفي بجهاده الأكبر كما يزعمون (جهاد النفس)، ومن ثم فإن الاستعمار الأجنبي كان يشجع الطرق الصوفية ويبرزها (13)
ومن المحزن أن يذكر البدوي، فيوصف بأنه "قطب" محرك للجهاد، ولصد غارات الكفار.. إن أحمد البدوي داعية استغل التصوف ستاراً لإرجاع الحكم الرافضي الذي انقرض بزوال الدولة العبيدية في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي، ولكن فشل في ذلك ولله الحمد، بل يذكر عن أنه كان لا يشهد الصلوات الخمس!!(14).

ولعل الموسوعة تعيد النظر في دراسة الصوفية.. فتذكر مراحل تطور التصوف من تشدد ورهبنة إلى رموز وغموض وابتداع ثم إلى كفر واتحاد وزندقة.. ومن الواجب ذكر أخطائهم وسوءاتهم وما أكثرها.
وفي ختام هذا المقال أحب أن أذكر بأن الموسوعة تحتاج إلى مزيد دراسة وتقويم. وكفي المرء نبلاً أن تعد معايبه، وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

* - في العالم الماضي سنة 1409 هـ.
1 - أفردت الموسوعة بعض المآخذ والانتقادات على جماعة التبليغ (ص 119)، وحزب التحرير (ص 138) والحركة المهدية (ص 470)، فالمطلوب الاستمرار في النقد والتقويم مع البقية، فبالنقد الصادق المؤدب يتم تصحيح المسار، والاستفادة من الأخطاء.
2 - انظر مثلاً كتاب: (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) للدكتور فهد الرومي، وكتاب (المعتزلة بين القديم والحديث) لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم، وكتاب (العصريون معتزلة اليوم) ليوسف كمال.
3 - انظر كتاب (الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو) لمحمد سرور بن نايف زين العابدين.
4 - انظر كتاب (حرية الإنسان في الفكر الإسلامي)، د. فاروق الدسوقي.
5 -ـ (الموسوعة الميسرة) / 9.
6 -- بعض الفرق والمذاهب في الموسوعة فقره عن أهم كتبهم وهم الدروز (ص 226)، الطاوية (ص 0 36)، المورمون (ص 78 4)، النصرانية (ص 501)، الهندوسية (ص 532)، اليهودية (ص 569).
وهذه فقرة مفيدة جداً فيا حبذا لو استمر هذا المنهج مع بقية الفرق التي لها كتب معتمدة.
7 - انظر مثلاً نفيهم لرؤية الله في اليوم الآخر من أحد كتبهم: (أصدق المناهج في تمييز إباضية من الخوارج)، لسالم بن حمود الإباضي، ص 27.
8 - انظر الكتاب السابق: (أصدق المناهج)، ص 27، ? ص 34، 35.
9 - انظر معتقداتهم في (الموسوعة الميسرة)، ص 70 - 73.
10 - انظر بعض هذه المآخذ كما ذكرت في (الموسوعة الميسرة)، ص 138 - 140.
11 - 12 - انظر كتاب (الإمام زيد بن علي المفترى عليه) لشريف الخطيب.
13 - انظر كتاب (أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة) للدكتور علي بن نفيع العلياني، وكتاب: (رسالة الشرك ومظاهره)، لمبارك الميلي.

14 - انظر كتاب (السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة)، د. أحمد صبحي منصور.

مقابلة مع الشيخ: علي بلحاج
عضو الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر

منذ أحداث أكتوبر عام 1988 والجزائر تسير باتجاه تغيير البيئة السياسية الداخلية، فقد سمحت الدولة بما يسـمـى (الـتـعـدديــة الحزبية) وكان من نتائج ذلك أن ظهرت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، التي أعلنت أهدافها ومبادئها في بياناتها التي نشرت في الصحف(1) ، والتي تتلخص في السعي لإعادة الحياة الإسـلامـيــة لـبـلـد عربي أصيل قاوم فرنسا مقاومة باسلة خلال عشرات السنين، ويرأس هذه الجبهة الأستاذ عـبـاس مـدني، ومن مؤسسيها البارزين الشيخ علي بلحاج والشيخ ابن عزوز. وقد اعترفت الدولة الجــزائــريــة مـؤخـراً بالجبهة كحزب سياسي له حق العمل ضمن أهدافه ومبادئه.

وحـرصـاً من (البيان) على معرفة أوضاع المسلمين في كل مكان من أنحاء العالم الإسـلامـي، وخاصة في بلد مثل الجزائر، وحرصاً على معرفة الحقائق من أصحابها فقد رأينا أن نحاور الشيخ علي بلحاج أحد مسؤولي هذه الجبهة.

وقد كان بـودنــا أن نلتقي برئيس الجبهة الأستاذ عباس مدني أثناء زيارته لندن ولكنا لم نتمكن من ذلك، وعسى أن تتاح لنا الفرصة للقائه في المستقبل القريب إن شاء الله.

ولا يفوتنا هنا أن نـذكــر أنــه بـعـد هــذا اللـقــاء مع الشيخ علي بلحاج أصدرت الجبهة صحيفتها الأسبوعية (المنقذ) وقد نشرت فيها بيانها الرئيسي، نسأل الله أن يوفق العاملين في الجبهة لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

س1 - نرحب بالشيخ علي، ونريد منك في البداية أن تحدثنا عن العلماء والدعاة الذين تأثرت بهم في الجزائر.

ج 1 - من العلماء والدعاة الذين تأثرت بهم الشيخ عبد اللطيف السلطاني، والشيخ سحنون، كما أنني درست على يد الشيخ العرباوي رحمه الله، وهو الذي كان عنده حلقات علمية ودرسنا عليه: التوحيد وأصول الفقه، والفقه المقارن، وهو الذين ترك أثره في نفوسنا، فكان يعلم ويربي في نفس الوقت، وكان يواسينا إذا نزلت بنا بعض المشاكل، وكان يحدب علي شخصياً، وله مواقف شجاعة في نقد المجتمع.

س 2 - ومطالعاتك الشخصية هل تذكر لنا الكتب التي تكثر من قراءتها ؟

ج 2 - من الكتب التي شغفت بها كثيراً، كتب السلف رضي الله عنهم، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، تعلمت منهما الاستقلال في الاستدلال، ونبذ التعصب المذهبي وتصفية العقيدة الإسلامية من العقائد

الفاسدة. وهناك كتب فكرية كثيرة، لأننى في الحقيقة كما أدرس لابن تيمية، أدرس لغيره وخاصة من المعاصرين كالشيخ حسن البنا وسيد قطب، كما أقرأ ما يكتب عن الحركات الإسلامية في العالم، وبالطبع نأخذ الحق ونترك ماعداه إذا قام الدليل على ذلك، فلست محصوراً في زاوية واحدة لا أتجاوزها.

س 3 - كان من الواضح لكل من عايش البعث الإسلامي في الجزائر، ومن خلال ظهور الثورة الإيرانية ومحاولتها لتصدير أفكارها، أنك كنت من القلائل الذين تصدوا لتأثيرها وفكرها، فهلاّ حدثتنا عن شيء من هذا، ودورك في ذلك ؟

ج 3 - إن أفكار وعقائد الشيعة، كنا قد درسناها في الكتب، مثل منهاج السنة وغيره، وقد تركت مثل هذه الدراسة أثراً في نفوسنا وفي أذهاننا وقد تحركوا في الجزائر فعلاً والتف الشباب حول السفارة الإيرانية، فرأينا في ذلك خطراً على الدعوة الإسلامية وأنه من واجبنا أن ننبه لهذه الأخطار والمفاسد التي تمس الجانب العقدي، ولذلك رددنا على الشيعة ونقدنا الخميني من خلال كتبه وتصريحاته، رغم ما وجدنا من مضايقات ممن كانوا متأثرين في ذلك الوقت بالشيعة.

س 4 - هل تذكرون لنا نماذج من تلك المضايقات ؟

ج 4 - بدأت المضايقات من بعض الدعاة الذين أحسنوا الظن بإيران، وكانوا يرون أنه ليس من الحكمة في شيء أن نتعرض لعقائد الشيعة، والدولة الإيرانية في طور التكوين، بل ينبغي علينا أن نسكت رغم قناعتنا بأنها عقائد فاسدة، حتى لا نمكن للاستعمار العالمي.

بهذه الحجج وأمثالها حدثت لنا مضايقات واتُهِمْنا بأننا لسنا من أهل الحكمة، وأننا من أهل التسرع والتهور ولكن الذي كناَ ندين الله به أن العقيدة لا يمكن التسامح فيها، قد نتسامح في بعض الأخطاء الفرعية، أمّا أن تكون مصيبة المسلمين في عقائدهم فهذا من الشيء الذي لا يمكن السكوت عنه، وقد ظن بعضهم وصرح لي بذلك أن الخلاف بيننا وبينهم في الفروع مثل الخلاف بين الأئمة الأربعة !!.

س 5- هل للشيعة نشاط الآن في الجزائر ؟

ج 5 - النشاط موجود، ولكن ليس هناك واحد منهم يصرح أنه شيعي، هناك أناس ذهبوا ودرسوا في (قم) هناك بعض المساجد تباع فيها أشرطة الشيعة، ويقولون: نحن نقرب بين المذاهب ؟!.

على كل حال، هناك فرق أخرى تنشط أيضاً في الجزائر، هناك الطرق الصوفية، ولكننا نحن نعمل بقدر المستطاع لتبيان منهج أهل السنة والجماعة.

س 6 - وموقف الإسلاميين... هل ترى أن ذلك الموقف كاف ؟

ج 6 - أما عن موقف الإسلاميين فالتقصير موجود، لأنه إذا بقى في مثل هذه المسائل داعية أو اثنان أو ثلاثة، وكبار الدعاة وأصحاب الكلمة ساكتون عن

هذا، فأظن أن هذا الموقف فيه تقصير كبير، وينبغي لكل الدعاة، وكل من يزعم أنه على مذهب أهل السنة والجماعة أن لا يسكتوا عن الباطل، ولا يقولون:"سكوتنا سياسي فقط، نتعاطف معهم سياسياً لا عقائدياً".

س 7 - ما هو تعليقك على هذه العبارة الأخيرة ؟

ج 7 - هذه العبارة لا أصل لها من الصحة بالطبع، لأن الحق أحق أن يقال وأن يتبع.

س 8 - ننتقل إلى موضوع آخر... هل من الممكن أن تحدثنا عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وانضمامك إليها باختصار ؟

ج 8 - الجبهة الإسلامية للإنقاذ، هي جماعة من جماعات المسلمين، والجبهة ما هي إلا وسيلة فقط وليست غاية، ونحن لا ندعو إلى تحزيب الإسلام، وإنما رأينا فيها مجالاً للعمل للإسلام، والعمل ليس كما يظن عمل سياسي بحت، بل عملها في ميادين كثيرة، تعمل في ميدان التربية، وتعمل في ميدان التوعية للشعب، وتعمل في ميدان السياسة، وبكلمة أخرى: لا يمكن أن نغض الطرف عن جانب من جوانب الإسلام، ونحن انضممنا إليها لأننا رأينا فيها فرصة نستطيع من خلالها أن نقدم للإسلام خدمات في جو من الراحة.

س 9 - وهل من الممكن أيضاً أن تحدثنا عن رابطة الدعوة الإسلامية والفرق بينها وبين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ؟

ج 9 - الجبهة الإسلامية للإنقاذ لها منحى تعمل فيه، منحى واضح وموجود في مشروعها، أما الرابطة فهي تهتم بأمور الدعوة أكثر مما تهتم بالعمل السياسي، فهي ترى أن تكون فوق العمل السياسي. ونحن والحمد لله مع أننا أعضاء في الجبهة الإسلامية فنحن أيضا من الأعضاء المؤسسين لرابطة الدعوة الإسلامية.

س 10 - وهل الرابطة أيضاً تتبنى منهج أهل السنة والجماعة، أم أنهم يقبلون في صفوفهم من لا يسير على هذا الطريق ؟

ج 10 - على كل حال، نحن نحاول فيما نعرض في جلساتنا دائماً أن يكون المنهج السائد هو منهج أهل السنة والجماعة، هذا ما أستطيع الإجابة عنه الآن.

س 11 - هل لك كلمة أخيرة تريد أن تقولها، نصيحة للمسلمين أو تعليقاً على الوضع في الجزائر ؟ أو أي كلمة أخرى ؟

ج -11 - أنصح نفسي الخاطئة وإخواني المسلمين، أن طريق النجاة إنما يتمثل في الاستمساك بكتاب الله عز وجل وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي فهم السلف الصالح، وأي طريق نسلكه لاستئناف حياة إسلامية بعيدة عن كتاب الله وسنة رسوله سيؤدي إلى طريق مسدود، وقد أثبتت التجارب ذلك.

وأنصح المسلمين أيضاً أن لا يتحزبوا، ولو كانوا وسط أحزاب، فيجعلوا تلك الأحزاب وسائل لا غايات، وأن يبتعدوا عن التعصب المذهبي، كما يبتعدوا عن التعصب الحركي وأن يجعلوا الحق فوق الأشخاص لا العكس.
وأشكركم على إتاحة هذه الفرصة، لأقول كلمة جاشت في نفسي إبراء للذمة، ونحن نقبل النصح من أي جهة، بشرط أن يكون مدعوماً بدليل من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
المجلة: ونحن نشكر الأخ الشيخ علي بلحاج على هذه الفرصة الطيبة وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقه والعاملين في الجبهة الإسلامية وكل الدعاة الصادقين في الجزائر لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

الهوامش:

1 - سننشر فقرات من بيان الجبهة في قسم شؤون العالم الإسلامي، من هذه المجلة.

أغير الله أتخذ ولياً (2)

محمد صالح المنجد

في هذا المقال يتابع الكاتب تعداد مقومات الولاء والبراء.

8 - تحمل الأذى في سبيل تحقيق ولاية الله:

وقد جرت سنة الله بامتحان الـمـؤمنين ((مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)). ولابد أن يـلاقــي الـمؤمن في سـبـيل تحقيـق ولاية الله أنـواعاً مـن الأذى الـمادي والـمعنوي - خصوصاً فـي هـذا العصر - وانظر ماذا جمعت هذه الآية ((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً؛ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)).
وقدوتنا -صلى الله عليه وسلم- يعبر لنا عما لقي فـي هــذا السبيل:»لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله، وما يخاف أحد، ولقد أتت عـلـي ثـلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال« [عن أنس، صحيح الجامع] .
قـال ابـن القـيـم في (المدارج): "فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه وفقهاً في سنة رسوله وفـهـمــاً في كتابه، أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه، وطـعـنـهـم علـيـه وإزرائهم به وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه صلى الله عليه وسلم".

9 - الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام:

وهذه الخطوة ضرورية حماية لدين الـمـسـلـم واسـتـفـادة مــن طاقاته في المجتمع الإسلامي وحرمان الكفار من ذلك مع ما في ذلك من الأذى النفسي والتغرب عن الأوطان وفراق الأهل والعشيرة.

وفي صحيح مسلم:»عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مـخــرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لـي، أنا أصغرهما، أحدهما أبو بردة ، والآخر أبو رهم، إما قال: بضعاً، وإما قال: ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، قال: فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعثنا هاهنا، وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، قال: فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً، قال: فوافقنا جميعاً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً ،إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معنا، قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعنى لأهل السفينة - نحن سبقناكم إلى بالهجرة، قال: فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي في زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر رضي الله عنه على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه ؟ قالت: أسماء بن عميس، قال عمر رضي الله عنه: الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله -صلى الله عليه وسلم- منكم، فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر، كلا والله، كنتم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو في أرض العداء والبغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله صلى الله عليه وسلم، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن كنا نؤذى ونخاف، سأذكر ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأسأله، ووالله لا اكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك، قال: فلما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان" قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألوننى عن هذا الحديث. ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو بردة: فقالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني«.

هذا الحديث العظيم في الجانب الإيجابي وفي الجانب السلبي نجد في الحديث الصحيح: »ولكن البائس سعد بن خولة« يرثي له رسول الله -صلى

الله عليه وسلم- أن مات بمكة نقرأ الحديث ونحن نتوجع ونتألم عندما نرى آلاف الطاقات الإسلامية تعمل في تقوية أنظمة الكفار وأجهزتهم ونتساءل أين تسخير الطاقات والمواهب لخدمة هذا الدين.
أليس الولاء لله يمنع من تقوية الكفار ومناصرتهم والإقامة بين أظهرهم.

10- رفض موالاة الكفار أو التحالف معهم:

لا يجتمع حب الله وحب أعداء الله في قلب مسلم أبداً، وما حلاّ في قلب إلا تدافعا حتى يخرج أحدهم صاحبه:

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حباً له ما ذاك في إمكان

وتحقيق الولاية يقتضي بغض الكفار وعدم توليهم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ، أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً)).
وتتضح خطورة هذا الأمر في قوله تعالى: ((وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)).
قال العلامة صديق حسن خان في كتابه العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة، ص 243:
"وأما القوم الذين في بلاد المسلمين ويدعون أنهم من رعية النصارى ويرضون بذلك ويفرحون به وأنهم يتخذون لسفنهم بيارق وهي التي تسمى الرايات مثل رايات النصارى إعلاماً منهم بأنهم من رعاياهم فهؤلاء قوم أشربوا حب النصارى في قلوبهم... وقصروا نظرهم على عمارة الدنيا وجمعها.. وأن النصارى أقوم لحفظها ورعايتها. فإن كان القوم المذكورون جهالاً يعتقدون رفعة دين الإسلام وعلوه على جميع الأديان وأن أحكامه أقوم الأحكام وليس في قلوبهم مع ذلك تعظيم للكفر وأربابه (ما أصعب هذه الشروط !) فهم باقون على أحكام الإسلام لكنهم فساق مرتكبون لخطب كبير يجب تعزيرهم عليه وتأديبهم وتنكيلهم، وإن كانوا علماء بأحكام الإسلام، ومع ذلك صدر منهم ما ذكر فيستتابوا فإن رجعوا عن ذلك وتابوا إلى الله، وإلا فهم مارقون... فإن اعتقدوا تعظيم الكفر ارتدوا وجرى عليهم أحكام المرتد" اهـ.
وانظر للتقريع في هذه الآية: ((بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)).
إن هذه المواقف القلبية لبعض المسلمين تجاه الكفار تناقض ولاية الله.
إلى هؤلاء نسوق هذا النص لفقهائنا: في (الروضة النواوية) في باب الردة: ولو قال معلم الصبيان أن اليهود خير من المسلمين بكثير لأنهم يقضون حقوق معلمي صبيانهم كَفَرَ. انتهي.
إذن لابد من بغض الكفار وعداوتهم ولكي تتحقق ولاية الله لابد من:

11 - مفاصلة الكفار واتخاذ المواقف منهم:

إذا كانت ولاية المؤمن تقتضي موالاة أحبابه ومعاداة أعدائه فعليه لا تجوز موادة الكافر ولو كان أخاً شقيقاً ونحب أخا الإسلام ولو كان حبشياً أو رومياً أو فارسياً أو قوقازياً..
وفقه الصحابة لمسألة المفاصلة عظيم فهماً وتطبيقاً. قال ابن حجر رحمه الله في ترجمة عامر بن عبد الله الجراح، وهو أبو عبيدة في (الإصابة): "نزلت فيه ((لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) الآية، وهو فيما أخرج الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شوذب قال: جعل والد أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر فيحيد عنه، فلما أكثر، قصده فقتله فنزلت، وألفاظ القصة تغني عن التعليق عليها.
ولم تقتصر المفاصلة واتخاذ المواقف من الكفار على مسألة القتال فقط، ففي حديث إسلام ثمامة سيد اليمامة في (صحيح البخاري): »ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض علي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، (ثم ذهب ليعتمر في مكة فقال لكفار قريش): لا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم«.
الله أكبر، كم في هذا الموقف من عجب.. رجل يسلم لتوه فيفهم أن ولايته لله تفرض عليه أن يفاصل الكفار ويعبر عن عدائهم وهو بين أظهرهم ويصارحهم بموقفه منهم في وجوههم.
اللهم مِنّ علينا بولايتك وتولنا برحمتك وارزقنا حب أوليائك وبغض أعدائك، والحمد لله أولاً وآخراً.

أدب وتاريخ (قصة قصيرة)

المخادع

خولة درويش

ما رأيت مثل "عائدة" اعتزازاً بزوجها، وزهواً بآرائه وتصرفاته،والتي تعتبرها "كياسة ولباقة".
إنني كلما أكبرت فيها إعجابها بزوجها، وتقديرها له، رحت أتساءل: - "أهي محقة في ذلك ؟!".
وأتاح تقاربنا في السن، أن أتعرف على مكنونات نفسها خلال ما تفضيه إلي من آمالها ومسراتها، فضلاً عن علاقة الجوار والزمالة.

وكثيراً ما حدثتني بسعادة وانشراح عن مغامرات زوجها الطبيب "بديع" ومقالبه الناجحة، التي كانت أشبه بصفقات تجارية من حيث نتائجها المادية وأرباحها الخيالية.
وإن أنس لا أنسى يوم كانت ضحكاتها العالية، وقهقهاتها الرنانة تملأ أرجاء البيت وهي تحدثنا عن آخر "شطاراته" بقولها:
- "في صباح الأحد الماضي كان الضباب يخيم على كل شيء، على الجبال والشعاب والشجيرات المتناثرة التي حال الظلم دون الاستمتاع برؤيتها.
كان الدكتور "بديع" يقود سيارته مسرعاً إلى مقر عمله في الضاحية المجاورة. وأثناء الانحدار إلى سفح الجبل، ومع السرعة الكبيرة، ارتطمت سيارته ارتطاماً عنيفاً بسيارة العامل المسكين التي كانت أمامه، والتي رغم وضاعتها كان يصحب عائلته فيها... (قالت ذلك بتقزز وامتعاض) أحس "بديع" على أثرها بدوار شديد... أنسته إياه المواقف المتلاحقة. فهاهو قد نقل مع سائق السيارة المصابة إلى المستشفي، وكان ذلك المسكين جسداً لا حراك فيه. أما طفلاه اللذان كانا في المقعد الخلفي فقد أُخِذا إلى غرفة العمليات لعلاج كسور مختلفة في جسميهما فضلاً عن جروحهما التي كانت تنزف بشدة..
وتتفاخر "عائدة" - سامحها الله - وتقول ضاحكة:
- لكن بديع بديع ! ليس كغيره. تحامل على نفسه، ثم تناسى آلامه ومتاعبه، وهبّ واقفاً يمسك بيد السائق المسجى، ثم يصب في أذنيه كلمات يعلنها بكل ثقة وصلابة:
- "أنا طبيب وأعرف أنك لا تشكو من شيء ؟ قم فوالله إن لم تفتح عينيك حالاً، لأخذت حقي منك، ولدفعت الثمن غالياً. فأغرمك أجور عيادتي بسبب حادثك المفتعل...!! فأنت المعتدي، ثم يردف مردداً مقولته التي يدأب على إعلانها:
- "والشرع يرضي الجميع...!!".
وأردفت تقول بفرح واعتزاز:
- تصوروا بعد لحظات، ومجرد أن أفاق المسكين، وفتح عينيه المذعورتين بعدما سمع التهديد، أشار إلى الشرطة.
- "دعوه يسامحني، فأنا غير مصاب... !!" ثم تتابع "عائدة":
وركب "بديع" سيارته وذهب سعيداً إلى عمله، وكأن شيئا لم يكن...
استمعت إلى قصة "عائدة" وأنا في ذهول، وصرت أحدث نفسي:
- "حقا لقد كان الضباب يغلف كل شيء، حتى القلوب البشرية ؟! حتى قلوب الأطباء الذين تحتم عليهم رسالتهم تضميد جراح الآخرين ومسح آلامهم ؟!
وتوالت الخواطر والتساؤلات:

- أهذا أمر يدعو إلى الزهو ؟! أين التدين الذي كانت تنشده "عائدة" في زوجها ؟! بل أين الكياسة ؟!
لقد تزوجت منه وهي تعتبره "لقطة" فريدة في عصرها، مركز مرموق.
وثقافة عالية، فضلاً عن يسر حال أهله، أما هو فإن لم يكن كثير المال، لكن ثراء "عائدة" يمكنها من الاحتفاظ بمستواها المعيشي الراقي، ثم إنه فوق ذلك: "متدين عصري" كما كانت تقول.
وعندما كان والدها الشيخ "عادل" رحمه الله يقول لها مبيناً رأيه:
- إنني لا يعجبني هذا الصنف من الناس. إذ كثيراً ما يكتنفه الكذب والغموض.
وحيث كان الكذب والمراوغة كان الزيغ أو النفاق...
لكن "عائدة" ساهمت مع إخوتها بإقناعه أن "بديعاً" مسلم مثقف ودبلوماسي لبق، يحسن التصرف وتدبير الأمور و... إنه يحرص على أن يتصدر الصفوف الأولى في المحافل الدينية، ويجيد المناظرة ولو كان قرنه من كبار العلماء.
وهذا ما اكتسبه من طول مرافقتهم.
وتم الزواج السعيد، وهو دؤوبة على ذكر أخباره وأسفاره.
كم كانت فرحة، وهي تحدثنا عن قصة الفلاح الطيب وهو يلبس ثيابه البسيطة، ويضرب باب العيادة بعصاه ويقول ؛ وتحاول عائدة أن تقلده بصوت مرتفع أجش:
- "السلام عليكم يا دكتور... أدخل ؟!
ثم يدخل ويشكو ألماً في بطنه لا يحتاج إلى أكثر من مسكن، فربما كان ألمه بسبب برد عارض في تلك الأيام.
ولكن الطبيب "بديع" بديع !!
هول الأمر وضخمه وأمر "المسكين" أن يمض يومه في العيادة في غرفة مجاورة لغرفة الطبيب، وذلك لمراقبته خوفاً من نتائج خطيرة قد تعود على صحته إذا أهمل نفسه ويحاسب الله عليها الطبيب... !
ويتكرر ذلك لمدة أسبوع للاحتياط، فالحذر طيب، ومراقبة الله واجبة !!
يوماً يجري "بديع" بعض الفحوصات للمسكين، ويوماً تعمل له بعض التحاليل وآخر يعطى المسكنات مع تدليك لبطنه ! ثم تتابع "عائدة":
- وبعد الأسبوع المشهود، كانت فرحة الفلاح لا توصف عندما أخبره "بديع" أنه تماثل للشفاء، وتعلق بمزيد من المرح:
- أما نحن فقد فاض عن حاجتنا آنذاك البيض الطازج، والدجاج البلدي، وهدايا الجبن والزبد التي يأتي بها للطبيب الماهر، فهو سيساعده في شفائه من الأمراض الخبيثة....
وتضيف قائلة على لسان زوجها: "الحياة شطارة والسعي على العيال فيه الأجر والثواب" ويسوء ذلك الموقف الحاضرات، فتستنكر إحداهن بقولها: -

"وهل يثاب المرء على مثل هذا الكسب، وقد خالطه الخداع؟! وتساندها أخرى:
- ألم يعلمنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن المؤمن يطبع على الخلال كلها إلا الكذب والخداع ؟ !
ولكن "عائدة" لم تلق بالاً لكل ما يقال:
وحتى السيدة والدته لم تسلم من مقالبه...
كانت عائدة تتمنى أن تسافر إلى أوربا حيث لم يتح لها السفر لقضاء شهر العسل، وهي تريده سفراً على نفقة "بديع" وأنى له ذلك بإمكانياته المادية المحدودة ؟! وتسر لي "عائدة" أن "بديعاً" قد عمل لوالدته فصلاً مسرحياً خفيف الدم، فقد تودد لها واستعطفها، وزين لها أنه يريد الذهاب إلى أوربا ليكمل دراسته وهي فرصة العمر... ويعود بعدها ليصبح من أحسن أطباء البلد لاختصاصه النادر الذي سيحصل عليه. ويقول لها وهو يشبع يديها لثماً وتقبيلاً :
- لا تحرميني من تحسين مستقبلي. ثم يرجوها قائلاً :
- سأكون ابنك البار الذي يدخله رضاك الجنة إن شاء الله.. ! وتتابع عائدة:
وكانت دراسته من روائع ما يتصوره الدارسون... في ملاهي باريس وشواطئ إيطاليا... وكنت رفيقته على نفقة الحاجة والدته رحمها الله...
أسأل الله الهدى لعائدة: إني كلما ذكّرتها بعدم الحرص على المتع الفانية، كانت تسخر مني وتقول:
- نحن نرضي الله، ولا نهمل العبادة، ونعيش دنيانا كما نحب.
وعندما سألتها مشفقة عليها:
- وهل يرضيك الاختلاط على الشواطىء، وهو محرم في ديننا ؟!
ردت بانفعال:
- سامحك الله، وهل تظنين أنني أسكت على مثل هذا ؟
والله لقد ذكرته مرة حين كان يتحدث عن جمال الحسناوات على الشاطىء بحديث قدسي للرسول صلى الله عليه وسلم: »النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه«.
فابتسم وهو يقول:
- إنها غيرة النساء، ثم إني لا أعيرهن أكثر من نظرة أخوية بريئة !!.
.... وتمر السنون القليلة، وأزور بيت أخيها الكبير لأجد "عائدة" وقد اختفى مرحها، وظللتها الكآبة والأسى، وأضحت ساهمة الوجه، مقطبة الجبين تحكي دموعها شقاء حاضرها، وبؤس مستقبلها القاتم، وعلمت من حديث هامس في الغرفة المجاورة، أنها تعيش أزمة عائلية مع زوجها !!
في الحقيقة، كنا جميعاً في ذهول أمام هذه النتيجة المؤسفة، وتتنهد أختها الصغرى وهي تقول: هكذا الرجال.. لا عهد لهم !
وتؤمّن امرأة أخيها على تولها - سواء مجاملة أم حقيقة -:

- صدقت، ما رأيت زواجاً سعيداً مثل زواجهما، وهذه نتائجه !.
وتدعو لها بإشفاق: كان الله في عونك يا ست عائدة.
وأتحسس أسباب النكد المفاجئ فأجد أن زوجها قد أخذ منها وكالة ليشرف على تدبير أموالها وليحفظها لها. وليجنبها الاختلاط بالرجال الذي يحرمه ديننا... ثم فوجئت أنه قد باع قطعة أرض من أملاكها دون أن يستشيرها، ولما سألته عن السبب، أشعرها أنه التجاري اليقظ الحريص على مال زوجته. فالأراضي إلى كساد، وعليه أن يغتنم الفرصة ولا يفوتها، وإضاعة المال حرام... !!
ثم يطمئنها بقوله:
- على كل حال، الأموال موجودة، وإن شئت نسخنا البيع. واسترضاها بذلك.
وبعد مدة وجيزة، اشترى لنفسه "فيلا" جميلة في الشارع المجاور.
ولما ساءلته عن مالها ثمن الأرض. صار يراوغ ويخادع، ويمنيها أن "الفيلا" لها، وإن شاءت سجلها باسمها. أليس هو وإياها كنفس واحدة ؟!
واستفحل الأمر، وتحول إلى مشادة عنيفة عندما بدأت تجابهه بواقعه:
- إنني لو كنت أقدر الأمور، لعرفت النتيجة يوم سفرنا لأوربا، إن من يكذب على أمه حري به أن يكذب على زوجته والناس أجمعين، ومن يستبيح لنفسه الكذب فقد زجها في النفاق...
تقول ذلك وهي توطن نفسها على تحمل ثورة "بديع" فقد يشتمها أو يلطمها أو... وتتلمس رأسها بكلتا يديها وهي تنظر إليه بتوجس.
لكنه يقابلها ببرود، ويقول بخبث وملق، وهو يرسم على وجهه ابتسامة باهتة:
- بيدك حق، وكل ما تقولينه جميل ولطيف. والحب الذي بيننا لن تمحوه هذه الكلمات..
ثم تكشف له النقاب عن سوء طويته بردّها المقتضب اللاذع:
- إنك لا تحب إلا نفسك، إلا المادة والشهوات. إن الذي لا يحب دينه ولا يصدق مع ربه، لا يمكن أن يصدق مع أحد.
وهنا لا يملك وقد ضاق صدره بالمأزق المهين. إلا أن ينكمش مخذولاً ويتوارى منهزماً، وقد عذبه الله بالحرص والجشع والخداع، ويتمتم بكلمات مبهمة تفضح غيظه الدفين.
وتأتي بعدها "عائدة" إلى بيت أخيها. وآخر عهدها بزوجها أن تدافعا عند الباب وهو يصر على منعها من الخروج، ويسعى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.
وتركته يستعطفها بصرخات متشنجة:
- يا عائدة لا تفضحيني، أولست زوجك ولي حق عليك، لا تخرجي وكل ما تريدينه يأتيك رغباً وطوع أمرك... يا عائدة !!
ولكنها لا تأبه لما يقول وتخرج تشيعها توسلاته ورجاؤه، وهو يبكي على ثقة الناس به تلك التي عالق حياته يبنيها بخداعه.

... وهاهي "عائدة" وقد أسقط في يدها، تتحسر وتتأوه، وهواجسها الدفينة تأبى إلا أن ينطلق بها لسانها.
- آه لو كنت عاقلة حقاً لما اقتنعت أن هناك "متديناً عصرياً" كما توهمت طوال حياتي معه.
وبقلب يتحرق أسى، ونفس استيقظت بعد غفلة، تتابع بين آهاتها وشهقاتها:
- رحمك الله يا والدي وطيب ثراك كم كان نظرك بعيداً. ورأيك سديداً وأنت تقول:
- المؤمن واضح، لا موارية في سلوكه ولا غموض، آلف مألوف قريب من النفوس السوية، بعيد عن الخداع والأنانية. يتصرف بميزان الإسلام وأخلاقياته.

ذات الخمار

أبو عاصم الحكمي

بُلِّغْتِ يا ذاتَ الخمارِ مناك ... وحباك ربُّكِ عزةً ورعاكِ
لبيتِ صوتَ الحق دونَ تلعثم ... وعصيتِ صوتَ الفاجرِ الأفَّاك
جانبت أخلاقَ العدوِّ تكرماً ... وتبعت خُلْقاً سنه مولاك
وزَهِدْتِ في أزيائهم وعُروضهم ... وجعلت مطلبَكِ الشهَي أخراك
وُفقتِ يا أختاه في نيل الرضا ... فتضرعي شكراً لذي نَعماك

***

أختاه إن خسر العدو بجولة ... سيعاودُ الأخرى، ولن ينساك
ألقى بأختك في الحبائلِ فانثنت ... تدني الفسادَ لقومها بحماك
فتأهبي دوماً وكوني حرةً ... لا يخدعَنْكِ الكاذبُ المتباكي
زعم الدعارةَ والخنا حريةَ ... هتكاً لعرضك فاحذري!إياك !

***

أختاه قد تلقين ضيماً أو أذىً ... فثقي بربك واثبتي لعداك
فالابتلاء يزيد دينك قوةً ... والمؤمناتُ صبرنَ قبلُ لذاكِ
فلأمِّ عمارٍ وأمِّ عمارةٍ ... أسمى المواقفِ من ذوي الإشراك
وكذاكَ أسماءٌ وإِنْ تستخبري ... عنهن تاريخَ العلا أنباك

***

أختاه من للنشىء يصقل فكرهه ... ويريهم السَّنَنَ القويم سواك ؟
يا بنت "فاتح" لقنيهم في الصبا ... تاريخَ مجدٍ كان للأتراكِ
شهدت به الدنيا وذلَّ لسيفِه ... كلُّ الملوكِ وكان فيه عُلاك
أضحى به صرح الشريعة شامخاً ... وهَوَتْ لديه معاقلُ الإِشراك

***

أختاه إن الدربَ صعبٌ مجهدٌ ... يحتاج زاداً والتقى هي ذاكِ

قومي إذا جن الـظـــلام ورتــــلـــي	آيـــاتِ ربِّـك وَلْـتَجُـدْ عـيـنـاك
فـالله حـــــرَّمَ أن تَـمَـــسَّ جهنـــمٌ	عيناً بـكـت فلتَسْعَدي بـبـكــاكِ
وَلْـتَـذْكـري بظـلامه قـبــراً غـــداً	يمسي مـــن الـدنـيــا به مثواكِ
صومي نهارَك ما استطـعـتْ فـإنـــه	يُـطْـفَى بـه يومَ الحساب ظماك
ولْتَحْسُنِ الأخلاقُ منك يَكُــنْ بـهـــا	حـبُّ الـنـبــي وقــربهِ، وكفاك

قراءات تاريخية

قال القاضي ابن شداد في وصف صلاح الدين الأيوبي:

"وكان رحمه الله من عظماء الشجعان، قوي النفس، شديد البأس، لا يهوله أمر، ولقد وصل في ليلة واحدة من الإفرنج إلى عكا نيفٌ وسبعون مركباً وأنا أعدها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس وهو لا يزداد إلا قوة نفس.

وكان رحمه الله شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد وفي الإرفاد لصدق وبّر في يمينه، ولقد كان الجهاد قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا في آلته، ولا اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وولده ووطنه وسكنه، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة.

وقال القاضي الفاضل:

وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد، وقد ألف له كتب عدة في الجهاد، وأنا ممن جمع له كتاباً، جمعت فيه آدابه وكل آية وردت فيه ، وكل حديث روي فيه.

قال: وسرنا مع السلطان على الساحل طالبين عكا، وكان الزمان شتاء، والبحر هائجاً هيجاناً عظيماً، وموجه كالجبال وكنت حديث عهد برؤية البحر، فعظم أمر البحر عندي، واستخففت رأي من يركب البحر، فبينا أنا في ذلك إذ التفت إليّ وقال في نفسه: أنه متى يسرّ الله تعالى فتح بقية الساحل، قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم (الصليبيين) أتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت، فعظم وقع هذا الكلام عندي وحكيت له ما خطر لي.

فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها، وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجسرها.

اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك، رجاء رحمتك فارحمه...".

شئون العالم الإسلامي ومشكلاته

ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ

ننشر فيما يلي نص بيان الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي ووفق على إعلانها في الجزائر.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرف البلاد تناقضات على جمـيـع المستويات، من ذلك شعب طموح يريد النهوض بنفسه إلى مستويات مقاصد الـشـريـعـة الإسلامية والنموذج الإسلامي القرآني السني على مستوى النظم، النظام السياسي والاقـتـصادي والاجتماعي والتربوي في النطاق الحضاري الإسلامي لمواجهة مستجدات أزمة الحـضــارة فـي الـوقــت الذي بقي فيه النظام الحاكم عاجزاً عن مواجهة القضايا الأساسية التي تطرحها حيثيات الأزمة السياسة والاقتصادية الاجتماعية والثقافية والحضارية وقد آل أمر البلاد إلـى خـطـر الضـياع والبلبلة انعكس في حيرة هزت الشعب هزة عنيفة وكان الشباب أكثر تأثراً بهذه الحيرة.

وإذا كانت الدعوة الإسلامية قد أخذت على عاتقها مسؤولـيـة تـوجيـه الشـعب الجزائري والسير به نحو المنهج القويم والصراط المستقيم المانعين من المخاطر المذكورة آنفــاً والضامنين للنجاة والمحققين للمراد من الصحوة الإسلامية التي ما فتئت تشكل معقد آمال الأمة.

ولـئـن كانت الدعوة الإسلامية محاصرة بالضغوط المعادية للإسلام وللشعب الجزائــري فـي الداخل والخارج فإن الدعوة كانت دوماً تشع على العقول بأنوار الهداية ،وتنعش الضمائر بالغذاء الروحي الذي تذخر به أخلاق القرآن والسنة وتشحذ الإرادة الخيرة للأمة بالطاقة الإيمانية الفعالة مما جعل الشعب الجزائري يقوى على مواجهة النوائب ومصارعة الاستعمار الحديث، كما قوي بالأمس على سابقه الاستعمار القديم.

وبعد أن جربت مختلف الأيدلوجيات الحديثة ؛ الشرقية منها والغربية، وثبت إفلاسها بما لاشك فيه لم يبق للشعب الجزائري إلا أن يجد في العمل بدينه القويم لإنقاذ مكاسبه التاريخية الرسالية الحضارية وثرواته البشرية والطبيعية دون أن يضيع الوقت الذي أصبح يشكل أهم العوامل في نجاح الخطة الإصلاحية الشاملة.

ولتحقيق ذلك لابد من هيئة تستوعب كل المطالب والحاجات التي تكون في مستوى مستجدات الأزمة، وتوظف كل أو جُل الإمكانات والطاقات كي تثرى الحلول على قدر مطالب النهضة الشاملة والصحوة الحقة، وتوفر لها إذكاء عبقرية الجيل وذكاءه وإنماء خبراته، واستقامة مسلكيته كي يكون في مستوى الجهد الرسالي والعمل الجاد المبدع في مختلف مجالات الحياة، وميادين الحضارة من أجل ذلك كان ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ إرهاصة تاريخية

ساعد على ظهورها نفسية الشعب الجزائري المفعمة بالإيمان التائقة إلى عزة الإسلام وعدل شريعته، وهي القرآن والسنة وقيم أخلاقه والتأسي برسوله -صلى الله عليه وسلم- وأجيال الصحابة والتابعين لمواصلة الرسالة.

مواصفات الجبهة الإسلامية للإنقاذ:

1 - إنها تعمل على وحدة الصف الإسلامي، وتحافظ على وحدة الأمة لقوله تعالى: ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) ولقوله صلى الله عليه وسلم: »المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً« رواه البخاري.

2 - تقديم بديل كامل شامل لجميع المعضلات الأيدلوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في نطاق الإسلام كما جاء في القرآن والسنة مع مراعاة الشروط النفسية والاجتماعية والجغرافية والطبيعية محددة في الزمان بكل أبعاده النفسية والحضارية. قال تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ)) ((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)) ، ولقوله تعالى: ((إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ))، ولقوله تعالى: ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً))، ولقوله صلى الله عليه وسلم: »تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي«.

3 - من خصائص منهجيتها الاعتدال والوسطية والشمولية لقوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً)) وقوله -صلى الله عليه وسلم- لبعض أصحابه: »يسراً ولا تعسراً، بشراً ولا تنفراً، وتطاوعاً ولا تختلفاً«.

4 - ومن ميزات طريقتها الاعتدال في الجمع بين المطالبة والمغالبة دون إفراط أو تفريط. لقوله تعالى: ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ))، ولقوله صلى الله عليه وسلم: »لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم«، وتستعمل المطالبة لإقامة الحجة لقوله تعالى: ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً))، وقوله تعالى: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ)). كما تستخدم المغالبة لضمان مصالح الأمة والحفاظ على ثوابتها وصيانة مكاسبها لقول عمر بن الخطاب: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

5 - ومن طرقها العملية، العمل الجماعي وجودة توظيف الجهد الكلي للإرادة الكلية للأمة مما يجعلها تتخلص من النزعة الفردية والطفرية الارتجالية، وورطة المحسوبية والوقوع في الأغراض الشخصية ونبذ الاتكالية. لقوله تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ))، ولقوله تعالى: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ))، ولقوله تعالى: ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ))، ولقوله صلى الله عليه وسلم: »الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟

قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم«، وقوله عليه الصلاة والسلام: »اعقلها ثم توكل«.
6 -- ومن مهامها: تشجيع روح المبادرة وتوظيف الذكاء والعبقرية وجميع الإرادات الخيرة في البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري.
7 - ومن خصائصها الإنقاذ الرسالي التاريخي الحضاري الشامل أسوة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- منقذ البشرية، لقوله تعالى: ((وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا)).
ولتحقيق ذلك تحدد الجبهة خطتها في مشروع شامل مختصر مركز (البرنامج السياسي) في محاور تضعها الجبهة الإسلامية للإنقاذ بين يدي الأمة ليتم أمر التغيير الشامل في نطاق الحل الإسلامي.

تطورات الجهاد الإسلامي في أريتريا

1 - بتاريخ 6/12/1409 هـ الموافق 9/7/1989 م قامت (الجبهة الشعبية) بهجوم واسع النطاق على (سرايا المجاهدين) في جنوب القاش بقوات كبيرة (حيث أحضرت لواءين من الساحل وثلاث كتائب وسريتين من بركا والقاش) ودارت المعارك في تلال ووديان (فانكو) بالقاش، فقاتل المجاهدون بشجاعة منقطعة النظير .. وحين نفد العتاد منهم قاتل المجاهدون بالسلاح الأبيض أعداء الدين والوطن، وكبدوهم خسائر فادحة. وكانت خسائر العدو (3) مقابر جماعية دفنهم العدو نفسه بجرافات، و (35) قتيلاً دفنهم الشعب.
وقد استشهد من المجاهدين في هذه المعركة (25) شهيداً، وأسر (39) مجاهداً، بعضهم من الجرحى، ومن قاتل بالسلاح الأبيض.
2 - وفي يوم 7/12/1409 هـ ، الموافق 10/7/1989 م هاجمت قوات أخرى من الجبهة الشعبية في شمال القاش (سرية المجاهدين) في منطقة (بلتوبياي) فقد تم تدمير القوات الأولى المهاجمة، ثم وصلت تعزيزات أخرى، فعجزت عن النيل من المجاهدين، وردت خائبة. وكانت خسائر العدو كبيرة في القتلى والجرحى. وقد دفن منهم بالقرب من ميدان المعركة (18) قتيلاً، فوصلت إلى منطقة (فورتو) (3) عربات محملة بالجرحى مات بعضهم بعد وصولهم مباشرة. أما المجاهدون الذين أنتظروا في منطقة (محصنة) فلم يفقدوا إلا أسيراً واحداً.
3 - استسلمت أعداد كبيرة من قوات الجبهة الشعبية، أثناء المعارك والأيام التالية خارج الحدود الأرترية، وقد بلغ عددها حتى الآن (1735) مقاتلاً.. هذا ويعيش تنظيم الجبهة الشعبية بعد انتصارات المجاهدين عليهم حالة من اليأس والانشقاقات الداخلية.

((وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ))

نداء من جبهة تحرير مورو الإسلامية

رئيس جبهة تحرير مورو الإسلامية
سلامات هاشم

تواصل جبهة تحرير مـورو الإسلامية جهودها في تصعيد عملية الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله، وقــد ذكــرنا في تقاريرنا السابقة أن قوى الكفر والإلحاد قد اتفقت على حرب الجماعات الإسلامية المجاهدة التي تقودها جبهة تحرير مورو الإسلامية، ويتعاون هؤلاء الكفار والملحدون مع العناصر العلمانية والوطنية الذين يلبسون لباس الإسلام أمام المسلمين لخداعهم والاستهزاء بهم كما في قوله تعال: ((وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)).

وإذ نجاهد في سبيل الله ضد هؤلاء الأعداء نستخدم جميع الأساليب المناسبة وكافة وسائل الجهاد اللازمة فـنـجـاهـدهــم بالـمال والنفس كما نجاهدهم باللسان والبنان وإننا نخوض المعارك ضد هؤلاء الأعداء في ميادين الحرب الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإعلامية والنفسية إضافة إلى الحرب بالسلاح.

ولاشك أن أقوى سلاح لمواجهة هؤلاء الأعداء في الميادين الحربية المذكورة هو سلاح الإيمان والتقوى والعلم والمعرفة إضافة إلى السلاح الحربي التقليدي كالبنادق والمدافع وأمثالها.

لذلك تبذل الجبهة الإسلامية جهودها في الدعوة ونشر الوعي الإسلامي بجانب نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية والعربية، وللجبهة أجهزة خاصة لهذه المهمات النبيلة وتشرف على عدد كبير من المساجد والمعاهد والمدارس كما تشرف على عدد كبير من الدعاة والأئمة والمربين والمدرسين والمعلمين، وتعمل على رفع مستواهم العلمي والثقافي والفكري، وتدربهم على ممارسة الحياة الإسلامية الصحيحة، وتقوم بنشاطات متنوعة كعقد الندوات الدينية والعلمية والثقافية وإقامة الـمـخـيـمـات الإسلامية وغير ذلك من النشاطات التي تعين على تحقيق أهداف الدعوة والجهاد.

وقد أقامت الجبهة مخيماً إسلامياً كبيراً هذا العام في قاعدة أبي بكر الصديق حيث مقر القيادة العامة للدعوة والجهاد، وحضر المخيم أكثر من مائتين من قادة الجهاد ورجال الدعوة والتربية والتعليم، وغيرهم من الشخصيات الإسلامية الذين أتوا من جميع أنحاء بانجامورو، واشترك في إلقاء المحاضرات بعض الأساتذة والدكاترة من البلاد الخارجية - أي خارج الفلبين - وبانجا مورو، وكان موضوع المخيم: القيادة الإسلامية الصحيحة، وقد اخترنا هذا

الموضوع لأهيمة القيادة الإسلامية الصحيحة في توجيه المجتمع إلى المنهج الإسلامي الصحيح، وناقش الحاضرون أهمية القيادة والفرق بين القيادة الإسلامية الصحيحة والقيادات الأخرى بما فيها القيادات العلمانية والوطنية والقومية التي لا تهتم بالدين بل تبتعد عنه وتهمل الجانب الروحي، كما ناقشوا أسباب انحراف القيادات في المجتمعات الإسلامية.
والجبهة تهتم بهذا الأمر لأنها ترى أن سبب عدم تطبيق الحكم الإسلامي الصحيح في بلاد المسلمين هو وجود حكام فاسدين وقيادات غير إسلامية أو منحرفة في هذه البلاد، ولابد من تصحيح هذا الوضع وتجنب حدوثه وخاصة في البلاد التي يجاهد أهلها ويعملون على إعادة بناء مجتمعهم ليكون مجتمعاً إسلامياً صحيحاً.
وبعد انتهاء المخيم الإسلامي مباشرة عقدت الجبهة دورتها السنوية الثامنة في نفس المكان وحضرها جميع أعضاء مجلس الشورى وممثلوا المقاطعات والمحافظات المختلفة في بلاد مورو، وذلك لمراجعة القرارات السابقة ووضع خطة مناسبة لمواجهة الظروف الحالية، وكانت للجبهة برامج إسلامية وسياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية شاملة، وتتلخص فيما يلي:
1- التحول الإسلامي (أي تحويل المجتمع في المنطقة إلى مجتمع إسلامي صحيح).
2- الاكتفاء الذاتي، على الأقل في المواد الغذائية والحاجات الضرورية الأخرى.
3- رفع مستوى التنظيم والكفاءة القيادية والإدارية علماً بأن للجبهة حكومة موازية لحكومة العدو.
4- إنشاء قوات إسلامية مسلحة قوية في إيمانها وتنظيمها ونظامها وأجهزتها الحربية، وكفاءتها القيادية والقتالية.
5- تحرير أرض مورو.
6- إقامة حكم إسلامي وتطبيق شريعة الله.
وقبل الختام نكرر نداءنا الموجه إلى الأخوة في الإيمان المهتمين بأمر إخوانهم وبالقضايا الإسلامية، إننا نناديهم للوقوف بجانب إخوانهم في الدين الذين يجاهدون في سبيل الله ويخوضون معارك مصيرية ضد الهجمة الصليبية الشرسة، وضد القوى الموالية للاستعمار الغربي والشرقي، وهي تعتبر الحرب الواقعة بين المسلمين والنصارى فرصة يلزمها انتهازها لبسط نفوذها وسيطرتها على المسلمين.
إننا نناديهم للوقوف مع إخوانهم المسلمين الصامدين أمام أعداء الله في هذه المنطقة بما فضل الله عليهم من مال أو عالم أو فكرة أو خبرة، وما إلى ذلك لينالوا الثواب العظيم عند الله مع إخوانهم المجاهدين في سبيل الله لإعلاء كلمته.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الصفحة الأخيرة

حتى لا تكون نهايتنا كنهاية الموريسكيين(*)

عبد القادر حامد

تتوالى على المسلمين نكبات وضربـات متنوعة في مناطق مختلفة من العالم، وعلى الرغم من عنف هذه الضربات ودمويتها إلا أن الـعــالم لا يعيرها الاهتمام الذي يعيره لفرد غير مسلم يعتدي عليه، بل الاهتمام الذي يعيره لبعـض أصـنـاف الحـيـوانـــات التي تشتغل أجهزة الإعــلام بإثـارة الخوف عليها من الانقراض كما هو حاصل بالنسبة للـفـيـلـة والحـيـتـان والحيوانات الأخرى..

بل إن هذه الـمـذابــح التي تنفذ ضد المسلمين هنا وهناك إن ذكرت تذكر مخففة مشوهة في زاوية منسية من مجلة أو صحيفة، ثم سرعان ما ينساها ليس المعنيون بحقوق الإنسان فقط ؛ بل المسلمون أنفسهم.

ولاشك أن مما يـمـيـت مـا يـحـدث للـمـسـلمين من ويلات وما يُخفي ما ينزل بهم من قهر وإرهاب هو فقدان جو الحرية الذي تنتقل فـيــه المعلومات، وتتجاوب أصداؤها في جنبات العالم محدثة أثراً.

وأمام هذا الواقع فإن المطلوب من كل مسلم يـشـهــد تعدياً لا مسوغ له على حرمة مسلم أو مسلمة ؛ أو ظلماً يقع على هذه الفئة المسلمة أو تلك ؛ أن يسجل ذلك بأي وسيلة تمكنه: كتابةً أو تصويراً أو تسجيلاً صوتياً، ولا يستهين في شيء من ذلك ولا يستثقله، ولا يقل في نفسه: ما الفائدة ؟ لا يمكنني أن أنشر أو أذيع ما أعلم، فرب يوم يأتي سيتاح له أن ينقل شهادته للناس، وإذا كان قد سارع بكتابتها حين وقعت، فلن يضير مضي الزمن ما كتب، حيث ستنتقل هذه الحادثة بحرارتها إلى الأذهان وكأنها حدثت الساعة، ولا يستصغر شأنه وليكتب بأي أسلوب يحسنه، فالصدق صدق بأي لغة نقل وبأي أسلوب قيل.

وكم من مصائب وقعت على المسلمين من قبل أعدائهم ذهب أثرها أدراج الرياح بسبب استهانة المسلمين بالتسجيل والحفظ، وما خبر الموريسكيين عنا ببعيد.

الهوامش:

(*) الموريسكيون: هم المسلمون الإسبان الذين تعرضوا لأبشع أنواع القهر والتعذيب ومحاكم التفتيش وأجبروا على اعتناق المسيحية، بعد القضاء على الحكم الإسلامي في إسبانيا، وعلى الرغم من استمرارهم بممارسة الشعائر الإسلامية سراً إلا أنهم أخيراً ذابوا في المجتمع الإسباني المسيحي.

تمت بعون الله والحمد لله
